

الأعلام من الأديباء والشعراء



# الأخطا لك

شاعر بني أمية

تأليف  
أحمد بن بسبح

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الاعلام من الادباء والشعراء

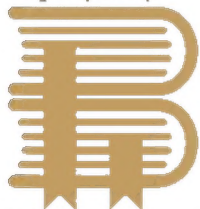
# الأخطاك

شاعر بني أمية

تأليف  
أحمد بن بسبح

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطه یدیل < mktba.net

جميع الحقوق محفوظة  
لدار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى  
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

---

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب : ٩٤٢٤ / ١١ - تلکس : Le 41245 Nasher  
هاتف : ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٢٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣  
فناكس : ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ - ٠٠ / ٩٦١١ / ٦٠٢١٢٣

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## القدمة

عزيزي القاريء

أضع بين يديك رسالة أخرى، تناولت فيها شاعراً من شعراء العصر الأموي وهو الأخطل غيث بن غوث التغلبي، شاعر بني أمية. وبما أن الشاعر يمثل عصره، كان لا بد من عقد فصل لدراسة البيئة، وتأثيرها، فعرضت الأحوال العامة في العصر وبيئت انعكاساتها على الحركة الأدبية وما نتج عنها من اتجاهات تبعاً للاتجاهات السياسية والحزبية. ثم انتقلت إلى التعريف بالشاعر من خلال شعره ومن خلال المصادر التي ترجمت له. وحاولت، في الفصل الأخير، أن أتقصي خصائصه الفنية من خلال أغراضه الشعرية. وقد سعت إلى ذلك جاهداً، وأرجو أن أكون قد وفقت في مسعاي، التمس العذر إن قصرت في بلوغ الغاية.

والحمد لله من قبل ومن بعد

بيروت: ٢٩ / صفر / ١٤١٤ هجرية

رومية ١٩٩٣/٨/١٧



## الفصل الأول

# الأحوال العامة في العصر الأموي



لما كان الأدب تعبيراً عن الحياة، وانعكاساً للنشاطات الإنسانية الحية، وما ينتج عنها، فإن الموضوعية تقتضي أن نشير - ولو باختصار - إلى مختلف وجوه الحياة، التي أثرت تأثيراً عميقاً، بل وجهت الأدب العربي، بشعره ونثره، توجهات حملت سمات العصر الأموي بكل ما فيه من تنقاضات، وصراعات وزهد وتقشف، وفحش وثرء، وفقر وعوز، وترف وتبذير، وعلم وفكر، وثقافات وحضارات، ومناظرات ومحاضرات في العلوم المختلفة، وتأليف وتصنيف وتوسّع في علوم جديدة.

### الحال السياسية

فبعد أن كان عهد الراشدين، وقبله العهد النبوي، عهد تأسيس، وفتوحات، يأتي العصر الأموي، لتكتمل فيه صورة الدولة، بالمفهوم الذي عرف في بلاد الروم وبلاد فارس.

وبعد أن كان نظام الحكم شوري، صار ملكياً وراثياً، أيام معاوية الذي أوصي لابنه يزيد بالملك من بعده، وأخذ له البيعة عن رضي أو عن كره، مما أثار جهات كثيرة معارضة، فلم تبابع، خصوصاً أن أولئك المعارضين كانوا قد سكتوا على مضض طيلة خلافة معاوية. وكانوا يرون أن هذا الأخير قد اغتصب الخلافة من أبناء الإمام علي، وكانت من حقهم، فالانشقاق الذي قاده معاوية في صفين أدى إلى بروز ثلاث طوائف سياسية متنافسة: فئة وقفت مع علي ودافعت عن



الخلافة الشرعية، وعينت بها أهل العراق والحجاز بالدرجة الأولى،  
وفئة حاربت مع معاوية وهي تتمثل بأهل الشام. أما الفئة الثالثة،  
فأولئك الذين خرجوا يوم التحكيم على الإمام علي، ولم يقبلوا بما  
حصل وهم الخوارج، وأُخذوا من شرقي العراق مقرّاً لهم.

أما الفئة الأولى، فهي التي عرفت باسم الشيعة، الذين أصرّوا  
على معارضة الأمويين، بعد وفاة معاوية، فاستدعوا الحسين بن علي  
إلى الكوفة - وكانت عاصمة والده - ليبايعوه، فلّبي طلبهم، ولما وصل  
إلى كربلاء التقاه رجال يزيد وقتلوه مع جماعة من أهل بيته. وكذلك  
الامر مع المعارضين الآخرين من الصحابة فقد بايع عبد الله بن  
عمر، ولم يبق إلا عبد الله بن الزبير، الذي أعلن نفسه خليفة من  
مكة المكرمة، وقد بايعت له الجزيرة العربية والعراق واليمن ومصر  
وبعض أطراف الشام.

وقد حاول يزيد إخضاع ابن الزبير، فأرسل جيشاً إلى المدينة  
بقيادة مسلم بن عقبة المري، فقاتل أهل المدينة في معركة الحرّة  
واستباحها جند يزيد ثلاثة أيام قتلاً ونهباً<sup>(١)</sup>، وقد ذكر أنه قُتل في هذه  
الواقعة سبعمائة من الصحابة الكرام، مما ترك أسوأ الآثار في النفوس،  
فازدادت الأحقاد، وقد رثى الشعراء قتل يوم الحرّة رثاءً حارّاً. ثم تابع  
الجيش طريقه إلى مكة وفي طريقه مات مسلم بن عقبة، فتولّى القيادة  
مكانه الحصين بن غير السكوني، فحاصر البلد الحرام، ولكنه لم يلبث  
أن فكّ الحصار وعاد إلى الشام عند وفاة يزيد سنة ٦٤ هـ.

كانت دعوة ابن الزبير، في هذه الأثناء، تتسع وتنتشر، فدخلت في  
طاعته أقاليم جديدة منها خراسان، وازداد حنق الناس وغضبهم على

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدميري: ٥٥/١ وما بعد. والحرّة موضع قرب المدينة.

بني أمية أينما كانوا. وفي الوقت ذاته، ظهرت في العراق، وتحديدًا بالكوفة، دعوة شيعية يقودها المختار الثقفي، حيث دعا إلى مبايعة أحد أبناء الإمام علي وهو محمد بن الحنفية، انتهت هذه الحركة بأن عزل ابن الزبير والي الكوفة وعين أخاه مصعباً عليها فقتل المختار الثقفي. كل هذه الأحداث سجّلها الشعراء حسب منطلقاتهم وأهوائهم.

أما في الشام، فقد اتخذ الصراع شكلاً آخر وهو القبلية، فقبائل قيس، ناهضت بني أمية، وكانت معركة مرج راهط التي أسفرت عن نصر ساحق لمروان بن الحكم، وكان خليفة بالشام، ولم يلبث عبد الملك بن مروان أن جهّز جيشاً وتوجّه إلى العراق ففضى على مصعب بن الزبير ووجّه جيشاً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي إلى مكة المكرمة، فحاصر البيت الحرام ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، وظفر بقتل عبد الله بن الزبير بعد حصار طويل وقتال شديد، انتهى سنة ٧٣ هـ. وبذلك دخل الحجاز في طاعة بني أمية، ولم يعد هذا الإقليم ومنذ ذلك التاريخ مقراً للثورات، على خلاف العراق، الذي لم يعرف الهدوء طيلة العهد الأموي، وقد تجمّعت فيه قوى المعارضة الرئيسة: كالخوارج، وكانوا في البصرة كثيرين، والشيعية في الكوفة، وكثيرون من أهل السيادة ومن أشراف العرب كانوا يعادون الأمويين لتكبرهم ولظلم ولائهم، وتعسفهم، ولأنهم، منذ البداية هم غاصبون لحقّ ليس لهم، وما انتفاض عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة إلا مصداق ذلك. ويضاف إلى هذه القوى، قوة أخرى جديدة، ألا وهي قوة الأرقّاء، الذين لا قوا معاملة قاسية، فثاروا مراراً.

أما الخوارج، فقد انتشرت ثوراتهم وتوالى، فشملت الأقاليم

المختلفة في العراق والموصل وإيران واليهامة وحضرموت وعُمان. وكان هؤلاء قد ظهوروا - كما أشرنا - عقب التحكيم بين علي رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان، فتنادى جزء من جيش علي وقالوا: «لا حكم إلا لله»، وخرجوا على طاعته وعدّوه ضالاً هو ومن معه وكل من رضي بالتحكيم، واعتبروا أن الهجرة عنهم واجبة، فالتجأوا إلى حروراء، وعرفوا باسم الحرورية، والخوارج لخروجهم عن جماعة المسلمين. ومنذ ذلك الوقت، والخوارج ثورة دائمة ضد علي، الذي نكل بهم في موقعة النهروان، مما أدّى إلى أن قتل<sup>(١)</sup> ابن ملجم الخارجي الإمام علي رضي الله عنه. ولما انتقلت الخلافة إلى معاوية إثر تنازل الحسن بن علي، رأى الخوارج في ذلك زيفاً فلم يوافقوا، بل خرجوا بنظرية مفادها أن الخلافة ليست من حق فئة دون أخرى، فهي ليست حقاً لقريش، كما كان يدّعي بنو أمية، ولكنها حق لله وينبغي أن يتولّاها أكفأ المسلمين وأصلحهم ولو كان عبداً حبشياً. لاقت دعواتهم هذه رواجاً في صفوف أهل التقوى، وكذلك انضمّ إلى صفوفهم كثيرون من العرب والموالي. وقد عملوا على نشر معتقدهم هذا، واعتقدوا أنه واجب عليهم ولو اضطروا لاستعمال القوة، فثاروا في الكوفة سنة ٤٣ هـ بقيادة المستورد بن علفة وخسروا الجولة، ثم ثاروا ثانية سنة ٥٨ هـ بقيادة حيّان بن ظبيان ولاقوا النهاية نفسها. وكذلك كانت حالهم في البصرة، خصوصاً أيام ولاية زياد بن أبيه عليها، فأخذهم أخذاً شديداً، وكذلك ابنه عبيد الله الذي طاردهم ونكل بهم. ومن المواقع الهامة التي تمكّن فيها الخوارج بقيادة

---

(١) قُتل رضي الله عنه وعمره ٦٥ سنة أو ٦٣ سنة. حياة الحيوان الكبرى للدميري ٥٣/١.

أبي بلال مرداس أخى عروة بن أدية الذي كان قتله عبيد الله بن زياد، معركة الأهواز حيث فشل جيش الأمويين بقيادة ابن حصين التميمي في اختراق صفوف الخوارج في منطقة «أسك»، وكذلك حل بجيش آخر أرسله عبيد الله بقيادة زُرعة بن أسلم العامري، ولكن حملة ثالثة بقيادة عباد بن علقمة تمكنت من القضاء على تلك الجماعة، وقد تنافس الشعراء في تسجيل تلك الأحداث. أما الخوارج فقد تصدوا لعباد بن علقمة وقتلوه، وانضم فريق منهم لابن الزبير وحاربوا معه، ولكنهم انفضوا عنه عندما رآوه لا يقول بمثل ما يقولون.

وقد انقسم الخوارج عدة شعب، ومن أهمها جماعة نافع بن الأزرق، وقد عرفوا بالأزارقة، وكان يرى أن دار الإسلام دار كفر، ويجب الخروج عنها، وقد استباح هذه الفرقة قتل الأطفال والنساء. ومن فرقهم الأخرى والتي لم تر رأي الأزارقة: النجدات والصفرية والأباضية، ورأى هؤلاء أن ديار الإسلام ليست ديار كفر، ويحلّ التزوّج من المسلمين ولا يحق قتل أطفالهم، وقالوا بشرعية الجهاد والخروج إلا الصفرية فقعدوا في حين خرج الأزارقة وخاضوا حروباً دامية ضدّ عمّال بني أمية، ومن قبلهم ضدّ مصعب بن الزبير، وأنزلوا بهم ضربات موجعة، حتى تمكّن أخيراً المهلب بن أبي صفرة من القضاء عليهم قضاءً مبرماً سنة ٧٨ هـ. أما نجدة فقد حلّ في اليمامة والبحرين، ولم تعمّر دولتهم طويلاً إذ زالت سنة ٧٣ هـ إثر خلاف نشب فيما بينهم.

هكذا كانت معارضة الخوارج، لا تخلو من سفك دماء، وثورات متتابعة. أما معارضة الشيعة فكانت في الجهر حيناً وفي السرّ حيناً، حسب الظروف، وكانت الكوفة أهمّ معاقلمهم، وبدأت حركة

المعارضة العلنية لبني أمية عندما طلب أهل الكوفة من الحسين بن علي أن يأتي ليسانعوه، ثم خذلوه فقتل في كربلاء كما أشرنا<sup>(١)</sup>، فتحوّلت تلك المأساة إلى مأساة دائمة في نفوس الشيعة، ثم ما لبثت أن تابعت صيحات الثار من بني أمية، فاندلعت ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد وقضي عليها، وقد تفجّع أعشى همدان على قتل التوابين<sup>(٢)</sup>. ثم تولّى زعامة الحركة الشيعية المختار الثقفي الذي قُتل كما تقدّم، فخلفه كيسان، الذي ادّعى أن الخلافة لعلي ولأبنائه من بعده بوصية النبي ﷺ، وقد بالغ أنصار كيسان، بأن زعموا لعلي صفات إلهية، يتناقلها الأئمة فيما بينهم الواحد تلو الآخر، فكان هذا الفكر مقدمة لعقيدتي الحلول والتناسخ، ولم يتوقف كيسان عند هذا الحدّ، بل زعم برجعة علي، ليملا الأرض عدلاً، والإمام عنده يعلم الباطن والظاهر.

ومن فرق الشيعة المعتدلة الزيدية، أتباع زيد بن علي وكان ثار في الكوفة أيام هشام بن عبد الملك سنة ١٢١ هـ، وقتل. ومن الجدير بالذكر أن زيد بن علي لم يبالغ في دعواه ولم يتنكّر لأبي بكر وعمر، ومن أهم شعراء الزيدية الكميّ بن زيد الأسدي. وخرج من بعد زيد، ابنه يحيى الذي قتل هو الآخر سنة ١٢٥ هـ. ثم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر وقتل سنة ١٢٧ هـ.

هذه صورة موجزة للأحوال السياسية، وما رافقها من فتن واضطرابات فئوية وحزبية وعصية، أيام بني أمية، ولم تهدأ إلا بعد سنة ١٣٢ هـ حيث أطاح بنو العباس بحكم بني أمية، وما يهمنّا هنا

(١) في بداية هذا الفصل.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤/٤٧٢.

أن هذا العصر شهد حركة شعرية ناشطة، كانت سجلاً حافلاً لأحداث العصر في مختلف المراحل، ومن مختلف الوجوه.

## الحال الاجتماعية

### الحجاز

شهدت مكة والمدينة حركة حضارية شاملة وواسعة، وإن كانتا فقدتا بعض الأهمية من الناحية السياسية مع انتقال عاصمة الخلافة أولاً إلى الكوفة، ثم إلى دمشق مع بداية الحكم الأموي. اكتسبت مدن الحجاز وخصوصاً مكة والمدينة مكانة مرموقة بين المدن الإسلامية، نظراً لما كانت تمثله من تراث ديني من جهة، ولتدفق رؤوس الأموال الوفيرة، فنعم كثير من الحجازيين بثروات طائلة مصدرها إما وراثي وإما من الأعطيات التي أغدقها الأمويون عليهم، كي يبعدوهم عن معترك السياسة، كانت نتيجة ذلك أن قامت نهضة عمرانية شاملة فبنى الناس القصور وبالقوا في زينتها، وأخذوا الخدم من الغلمان والجواري، من أصول رومية وفارسية وغير ذلك، وأكثروا من ذلك حتى امتلك الواحد من أثرياء الناس بضع مئات وحده.

وعلى العموم، فقد عاش الناس عيشاً رغيداً هنيئاً في كل من مكة والمدينة، لم ينقص إلا في فترة خلافة ابن الزبير وحملة يزيد إلى المدينة سنة ٦٣ هـ. وهكذا تمتع الحجازيون بمختلف أصناف الطيبات من المأكّل والمشارب والملابس، وبالغت النساء بأخذ الحلّ والجواهر وأصناف الزينة الأخرى.

أمّا الأمر اللافت للانتباه، فهو ازدهار الغناء والعزف، والسبب في ذلك أن الكثيرات من الإماء، كنّ يدرّبن على أنواع عديدة من المهارات كالغناء والعزف والإنشاد، ولما كنّ وافرات العدد، كان من

الطبيعي أن تزدهر دور اللهو والطرب، فازدهر معها الشعر الغزلي الذي يُغنى. وكان الغناء في بداية عهده تقليداً لما حملته المغنيات من بلادهن، ولكن سرعان ما صار هنالك أصول وقواعد للأصوات والأنغام، ذات مميزات عربية مستقلة.

وأقبل الفتيان المترفون إقبالاً شديداً على دور اللهو والطرب التي نشأت في البلديتين، فشاع ذكر مغنيات من أمثال جميلة، ودارتها شهيرة وكانت تجمع لديها عشرات المغنين والمغنيات. ومن المغنين طويس والغريص، ومن القيان أيضاً حبابة وسلامة، وذكر<sup>(١)</sup> أبو الفرج عشرات منهن. ومن الطريف، أن سادات القوم وأشرفهم<sup>(٢)</sup> كانوا يشاركون في جانب من جلسات الطرب والإنشاد، وكذلك النساء، من أمثال سكية بنت الحسين التي كانت تجلس مع الشعراء والمغنين، وتفاضل بينهم، ويذكر أبو الفرج في ترجمته<sup>(٣)</sup> لها أنها كانت أنيقة حسنة الهيئة جميلة ذات وقار.

ففي ظل هذه البيئة نشأ شعراء كثيرون، بعضهم مال إلى الإباحة والتهتك، منهم عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والبعض الآخر، تغزل غزلاً عفيفاً، مثل عروة بن أذينة وعبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي. وبرز شعراء آخرون في الفنون الأخرى، ففي الهجاء عبد الرحمن بن حسان، وابنه سعيد، وعبد الرحمن بن الحكم، وفي المديح، الأحوص وموسى شهوات ومدحا بني أمية.

---

(١) الأغاني (ساسي): ١٨٦/٨.

(٢) الأغاني (ساسي): ٢٣٨/٢، ٢٧٧/٨، ٢٥٠/٩.

(٣) الأغاني (ساسي): ١٥٧/١٤.

## البادية

هذا في حواضر الحجاز، أما في البادية، فقد استمرت القبائل تعيش على ما تعودته من حياة الخشونة والبعد عن مظاهر العمران والترّف، وبذلك حمل أهل البادية العادات والتقاليد البدوية ولقّحوها بمبادئ أخلاقية دينية إسلامية، أبعدتها عن الفسق والغلو، إلا أنهم لم ينسلخوا تماماً عن طرائق عيشهم في المنافسة على الماء والكلأ، ولكنها منافسة لم تكن تشكّل خطراً كما كانت الحال في الجاهلية.

أما الحركة الشعرية، في البوادي، فإنها، في هذا العصر لم تكن كحالتها في الجاهلية بسبب ضعف العصبيات القبلية، وبسبب الهجرات المتتابعة نحو البلاد المفتوحة. لا يعني أن الضعف كان عاماً جميع الأغراض الشعرية، لأن الغزل شهد حركة واسعة وازدهر ازدهاراً ملحوظاً، وقد أفرط الشعراء في التعبير عن مشاعرهم المكبوتة، وعواطفهم الجياشة نحو الحبيبات، ونخصّ بالذكر شعراء بني عُذرة وبني عامر، ومنهم جميل بثينة، وعروة بن حزام وقيس بن ذريح، وقد تغزّل هؤلاء غزلاً عفيفاً يخلو من الفحش والبذاءة فيه وقار واحترام للمرأة، ولا يخالف في كثير من جوانبه القيم والمبادئ الإسلامية.

## الجزيرة وشمال الشام

استقرّ في هذه المناطق عشائر قيس من بني كلاب وعامر وسُلَيم، كما أقامت في الشام قبيلة كلب وتغلب اليمانيّين، فتصادمت المصالح واشتبكت، وغدّى ذلك تأييد بني أمية لليمنيين، فتفجّرت الصراعات الدموية فأعلنت قيس معاداتها لبني أمية وثارت بقيادة زفر بن الحارث والضحّاك بن قيس، وأسفر الصراع عن هزيمة قبائل قيس في معركة



مرج راهط الشهيرة، ولكن المعارك شمال الجزيرة استمرت على قدم وساق حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث بدأت تستعيد هدوءها.

هذه الأحداث الدامية، ساهمت في بعث الحركة الشعرية والخطابية، فالصراعات السياسية والقبلية أفسحت المجال أمام تأجيج نيران الضغائن والأحقاد فاستعر الهجاء، وعاد سيرته الأولى كما كان أيام الجاهلية، وأهم الشعراء الذين هجوا وافتخروا من قيس زفر بن الحارث وعمير بن الحباب وجهم القشيري، ومن شعراء تغلب الأخطل ومن شعراء كلب عمرو بن المخلاة..

## العراق

أقام الفاتحون المسلمون، ومنذ أيام عمر بن الخطاب، عندما استقر لهم الأمر في العراق وبلاد فارس، في مدينتين على الأطراف الشرقية للعراق وهما البصرة والكوفة. بنيت الكوفة سنة ١٧ هـ ونزلت قبائل اليمن في شرقها، وقبائل العدنانية في غربها، ثم توزعت خططها بحسب القبائل والبطون.

وكانت الكوفة محاطة بالزروع وخصوصاً من جهة الشرق، أما من الغرب فمتنزّهات كثيرة. وتعرّزت مكانة الكوفة عندما اتخذها الإمام علي عاصمة له، ثم تولّى أمرها معاوية المغيرة بن شعبة الذي تعامل مع أهلها باللين، وخلفه زياد بن أبيه الذي تشدّد مع الكوفيين خصوصاً مع الشيعة، فأوقع بأحد زعمائهم حجر بن عدي وأرسله مع ستة إلى معاوية فقتلهم، وهكذا ازدادت النقمة الشيعية على بني أمية فبكوا قتلهم وتفضّعوا عليهم.

إنّ الفتن والاضطرابات، والعصبيّات والانقسامات التي أشرنا إليها، لم تمنع أهل العراق من أن يأخذوا بأسباب الحضارة، وعلى

نطاق واسع، ومما ساهم في ذلك الترقى التمازج بين العناصر البشرية والعرقية المختلفة، فقد خالط العرب الفرس والهنود وبقايا الآراميين، فتأثروا بهم وأخذوا عنهم طرائق العيش الأكثر تطوراً، وساعد في تسريع العملية الحضارية الأموال الضخمة التي جناها الفاتحون المسلمون في خراسان، حتى قيل إن حصّة الفارس الواحد في بعض الغزوات كانت ثلاثين ألفاً من الذهب<sup>(١)</sup>. ومما يذكر من مظاهر الثراء، ما كانت تدرّه الحُمَامات، فكان يغلّ بعضها يومياً ألف درهم، ولا يخفى ما كانت تغلّه الأراضي الزراعية الخصبة، تذهب إلى أصحابها من كبار الإقطاعيين من عرب وغيرهم<sup>(٢)</sup>، ومن هؤلاء فيروز حصين، وحسان النبطي ومسمار مولى زياد. وقد أدّى الثراء الواسع هذا، إلى نهضة عمرانية، فتسابق الجميع في بناء القصور الفخمة المزخرفة، فأنفقوا عليها الثروات الطائلة، وأحاطوها بالبساتين والحدائق<sup>(٣)</sup>، منها قصر زربى مولى عبد الله بن عامر، وقصر أبي نافع مولى عبد الرحمن بن أبي بكرة، وقصر شيرويه الأسواري، وكان فيه ألف باب.

وتبع ذلك التأثّر في البناء، تأثّر في المأكّل والملابس، فلبسوا الديباج والقلائس وطعموا الجردق وكانت الثياب والأطعمة تُحمّل من البلدان القريبة والبعيدة، ويروى أن الحُجّاج كتب إلى أحد عماله بفارس أن يبعث له «بعض من عسل خلار»<sup>(٤)</sup>. . . واهتمّوا كذلك

(١) تاريخ الادب العربي - شوقي ضيف: ١٩٦/٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٦/٢.

(٣) البيان والتبيين: ٨٢/٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٣/٢، وخلار: موضع بفارس مشهور بالعسل.

بوسائل اللهو والتسلية فتسابقوا على الخيل، واستمتعوا بالصيد، ولعبوا الشطرنج والنرد، وجنح كثيرون إلى المحرّمات فشرّبوا الخمرة، واستباحوا الاستماع إلى الغناء والمعازف، وكانت شهدت المنطقة حركة غنائية ناشطة، فاستقدم المغنون والمغنيات من الحجاز، وفتحت لهم دور الغناء مثل دار ابن رامين<sup>(١)</sup>. ومن المغنين العراقيين: حنين الحيري وأحمد النّصبي<sup>(٢)</sup>.

أمّا في خراسان، فقد أصاب الفاتحون المسلمون الأموال والغنائم التي يقصر عنها الوصف، ومّا يُروى أن الأمراء والدهاقين كانوا يقدمون على ولاية خُراسان بالهدايا النفيسة، وقوّمت إحداها لأسد بن عبد الله القسري بألف ألف، وهي قصر من فضة وآخر من ذهب وأباريق وصحاف فضية وذهبية<sup>(٣)</sup>. والولاية هم بدورهم يرسلون بالهدايا والأموال الكثيرة إلى الخلفاء في دمشق. ومظاهر البذخ أكثر من أن نتعقبها الآن فليراجع في ذلك الأغاني والطبري في تاريخه.

ونلاحظ هنا أيضاً، في خراسان، ما ألمحنا إليه سابقاً، من أن الثراء الواسع كان سبباً في توجّه البعض نحو اللهو حتي الإسراف، والغوص وراء المحرّمات كالخمرة والمجون والتخنث والتشبه بالنساء<sup>(٤)</sup>.

## الشام

تألف سكان الشام من أكثرية مُضربية عربية، لذلك لم يكن

---

(١) الأغاني: ٦٠/١٥.

(٢) تاريخ الأدب العربي - شوقي ضيف: ١٩٧/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٩٨/٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٩٩/٢.

للصراعات القبلية شأن يذكر، فتفرغ الناس إلى شؤونهم، واستمتعوا بما وجدوه من المباني والقصور المشيدة التي أخذوها من الروم، واستخدموا أبناء الروم وبناتهم، فتحضروا بعد بداوة، وانفتحوا على وجوه الحضارة اليونانية الرومانية، ونعموا بثرأ واسع، فكانت تحمل إلى دمشق العاصمة أحمال الذهب والفضة والغنائم الأخرى من كل البقاع، فأمرع الناس وأخصبوا، فاتخذوا الأواني الفضية والذهبية، خصوصاً وأن حكامهم من بني أمية أغدقوا عليهم الأموال الوفيرة، لكسب ودّهم وتأييدهم، وأسرف كثير من الأثرياء وأهل الحكم في اللهو والملذات، واهتم بعضهم بالعمران فشادوا القصور وزخرفوها وزينوها بصفائح الذهب، وبنوا المساجد الفخمة كما في جامع بني أمية الكبير في دمشق، وجددوا عمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة، ومما يروى عن الترف الملكي ما كان أيام يزيد بن عبد الملك الذي كان «يشرب الخمر ويلبس الحلة قومت بألف دينار... حباة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه»<sup>(١)</sup>. وقد بلغ ذلك أوجه في عهد ابنه الوليد، حتى يُقال إنه «كان يلبس حول عنقه قلاند ذهبية مرصعة بالأحجار الكريمة، ويغيرها في اليوم مراراً كما تغير الثياب شغفاً»<sup>(٢)</sup>.

والإماء كن يتمتعن بقسط وافر من الحرية والجمال والثقافة أيضاً، لذلك كنّ ينافسن الحرائر في الاستحواذ على قلوب الرجال، مما دفع المرأة عموماً نحو المزيد من العناية بنفسها: بجيهاها وأناقتهـا ولبسها؛ وهنالك روايات كثيرة عن النساء الأرستقراطيات تدلّ على مبالغتهنّ في التأنق والبذخ، فقد حجّت عائشة بنت طلحة بموكب أذهل الناس

(١) البيان والتبيين: ١٢٣/٢.

(٢) الأغاني (ساسي): ٥٩/٧.

ما جعل عاتكة بنت يزيد بن معاوية تقول: «ما عند الله خير وأبقى»<sup>(١)</sup>.

خلاصة القول: إن هذا الترف الزائد، والنعيم المقيم، قد صقل الأذواق وهذبها، وفتح عيون الشعراء نحو موضوعات جديدة، وأفكار استوحوها من واقع البيئات المتحضرة، لم يكونوا على عهد بها سابقاً.

### الحال الثقافية:

تكوّنت ثقافة هذا العصر من مصادر مختلفة: مصدر جاهلي عربي قديم وقوامه الشعر وأيام العرب ومواقعهم في الجاهلية وعاداتهم وتقاليدهم وأنسابهم ومعرفتها، فانكبّ الدارسون في العصر الأموي على هذه المادة الغزيرة فحفظوها وسرعان ما وضعت المؤلفات في المجالات المذكورة، فمنها في الأنساب ومنها في رواية الأخبار والمواقع، وهكذا نشأت تخصّصية في التصانيف، من الرواة عُبيد بن شربة ودغفل بن حنظلة النسابة وغيرهما كثير.

وشكّل الدين الحنيف المصدر الثاني والأهم، من خلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسنة النبوية، يُضاف إلى ذلك ما وفّرت الفتوحات والأحداث التاريخية المتلاحقة، داخلياً وخارجياً، من مادة غزيرة للأدباء والدارسين، فوضعت مؤلفات تاريخية، هدفها تسجيل الأحداث كما هي فجمعوا الأخبار وسجلوا وقائعها وتفصيلها، خصوصاً ما يتعلّق بأخبار النبي ﷺ أو سيرته، وكذلك أخبار الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم.

---

(١) الأغاني: ١١/ ١٨٨.

أما التيار الآخر، فكان يهتم بالشريعة وعلومها في الأصول والفروع، والقراءات والحديث النبوي فجمعوا الأحاديث وتعبوها، واستقصوا ليميزوا بين الصحيح وغيره ورتبها ودوّنوها بطرق ومناهج استفادوها من غيرهم، ومن المشتغلين في العلوم الدينية بمكة تلاميذ عبد الله بن عباس ومنهم عطاء وعكرمة، وفي المدينة سالم بن عبد الله بن عمر ومولاه نافع، والزهري وغيرهم. وفي الكوفة الشعبي وسعيد بن جبير، وفي البصرة الحسن البصري، وقتادة، وفي الشام مكحول والأوزاعي ..

وفي موازاة ذلك نشأت فئة من المعلمين<sup>(١)</sup> والمقرئين، عملوا على تعليم أبناء الطبقة الأرستقراطية القرآن والأدب مثل عبد الصمد بن عبد الأعلى، ومن معلّمي أولاد العامة الحجاج في الطائف والكميت بن زيد في الكوفة.

أما المصدر الثالث الذي أمدّ الثقافة العربية في عصر بني أمية فأجنبي، ويتلخص دور هذا المصدر في أن المخالطة بين العرب والفرس والهنود وغيرهم في البيئة العراقية والحجازية والشامية وكذلك المصرية، ففي كل من هذه الأقطار لعب هؤلاء الذين يتحدثون من بلاد وأمم عريقة في حضارات وعلوم مختلفة، وهم أصحاب مهارات متعدّدة، فنقلوا معارفهم: من علوم النبات والريّ والهندسة وكذلك العلوم الإدارية، في ضبط الدواوين وتنظيمها، وهكذا استفادت الدولة الناهضة من خبرات الأمم المجاورة، فوضعت أسس الدولة التي تضمن لها القيام والاستمرار بعيداً عن الفوضى الإدارية، كما

---

(١) البيان والتبيين: ٢٥١/١.

تضمن لها اقتصاداً قوياً خصوصاً في مجال الزراعة، التي صارت تعتمد وسائل أكثر تطوراً.

ولم يتوقف دور الأجانب على نقل العلوم التطبيقية، لكنهم قدموا علومهم النظرية، فكانت مدرسة جند يسابور في بلاد فارس، ومدرسة الرها وقنشرين والإسكندرية وفي مناطق كثيرة من الشام والعراق ومصر، قدّمت تلك المدارس ثقافة هي خليط من التراث الفكري الديني ذي الأصول اليونانية والسريانية وغيرها ممزوجة بالفكر الديني النصراني، وكانت هذه المدارس هي القنوات الأولى التي نقلت علوم المنطق والحساب والفلسفة إلى المسلمين، فنشطت حركة الترجمة والنقل عن المصادر المذكورة أعلاه، خصوصاً في علمي الحساب والمنطق ثم تشعبت لتشمل معظم العلوم التطبيقية دون الفلسفة والآداب.

وهكذا، صار العقل العربي يمتلك القدرة على الجدل والمناظرة، وفق المناهج المنطقية الرياضية، فهو قادر على القياس والاستنباط والمقارنة والاستنتاج، وهم لا تنقصهم الحجة بما يتوفّر لديهم من الأدلة والبراهين من خلال الكتاب والسنة. وبذلك تنشطت المناظرات بين الحركات الدينية، بعد أن اكتملت العناصر الفكرية التي يقوم عليها كل مذهب.

ومن الجدير بالذكر أن تلك المناظرات قد أظهرت الاختلافات جلية بين الأفرقاء، فنشأت عن ذلك المذاهب الدينية والفكرية وغيرها، وصار العقل عند كثيرين إماماً، فيقول أيوب السخيتاني: «لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف»<sup>(١)</sup>، فظهر تيار

(١) البيان والتبيين: ٩٨/٢.

سُمِّيَ بتيار أهل الرأي أو القياس إلى جانب تيار آخر بالغ في تعظيم العقل وهم المعتزلة، فقد تجددوا العقل إلى درجة خروجهم عن الصواب، فقالوا بأن الإنسان خالق لأفعاله ومرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لا في الجنة - على زعمهم - ولا في النار، وفي ذلك خروج عن اعتقاد أهل الحق كما لا يخفى على ذي لب. وناظرهم في ذلك الفقهاء والمتكلمون من أمثال الحسن البصري. ومن الفرق الأخرى، المرجئة وراوا أن الأحكام على أعمال العباد ليست من شأنهم، ولكن الأولى عندهم ترك ذلك حتى يحكم الله في الأعمال عند الحساب.

وقد تصدَّى لهم أهل الحق بالمناظرة عبر الأدلة المقنعة، واستدعى عمر بن عبد العزيز أئمتهم وناظرهم، وكان منهم عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الذي اقتنع، وعاد عن مذهبه وتشيع بعد ذلك وقال<sup>(١)</sup>:

وأول ما نفارق غير شكٍ      نفارق ما يقول المرجئون  
وقالوا مؤمن من أهل جور      وليس المؤمنون جائرينا  
وقالوا مؤمن دمه حلال      وقد حُرِّمَت دماء المسلمينا  
ومن المرجئة الشاعر الشهير ثابت قُطنة<sup>(٢)</sup> الذي يقول مصوراً  
عقيدته:

المسلمون على الإسلام كلهم  
والمشركون أشتوا دينهم قِدداً<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ الأدب العربي - شوقي ضيف: ٢٠٥/٢.

(٢) من شعراء خراسان وفرسانهم، توفي سنة ١١٠ هـ.

(٣) قِدد: فرق.



وما قضى الله من أمرٍ فليس له  
ردٌّ وما يقض من شيء يكن رَشدا  
كلَّ الخوارج غَطٍ في مقالته  
ولو تعبَّد فيما قال واجتهدا

هذه المناهج والطرق الجدلية في الحوار والمناظرة، أثرت في  
المُتعلِّمين والمتأدِّبين والشُعراء، فصار الشعراء يعبرون عن المعتقدات  
ويدافعون عنها في المحافل العامة والخاصة، حتى انعكس ذلك على  
الأغراض الشعرية الأخرى كالهجاء، كما في نقائض جرير والفرزدق،  
إذ تجادلا في مناقب قبيلتيهما وتفاخرا وتهاجيا بعنف، على طريقة  
الناظرين المتكلِّمين في الردِّ والردِّ المضاد.

## الفصل الثاني

### الأخطل نشأته وسيرته



## الأخطل<sup>(١)</sup>

(١٩ هـ - ٩٠ هـ) / (٦٤٠ م - ٧٠٨ م)

هو غِيَاث بن غوث بن الصلت بن طارق بن عمرو، من بني تغلب، كنيته أبو مالك، واسم أمه ليل<sup>(٢)</sup>. والأخطل لقب غلب عليه، لسفاهته، وقيل لأنه هجا رجلاً من قومه، فقال له: يا غلام، إِنَّكَ لأخطل، فغلبت عليه. وقيل: سُمِّيَ بذلك لبيت من الشعر، وكان دخل بين ابني جُعيل وأُمهما فقال:

لعمركُ إني وابني جُعيل وأُمهما لإستارٍ لثيمُ  
فقال ابن جُعيل: يا غلام، إن هذا لخطل من رأيك.

نشأته وتدينه:

وُلِدَ الأخطل بالحيرة<sup>(٣)</sup>، ودان بالنصرانية كوالديه، وأكثر أهل قبيلته، فلم يجد عن دينه، مع أن كثيرين عرضوا عليه الإسلام ولكنه

---

(١) ترجمته في: الأغاني: ٢٨٠/٨. الشعر والشعراء: ٣١٩. طبقات الشعراء: ١١١. سير أعلام النبلاء: ٥٨٩/٤. تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٢٠٤/١. الأعلام: ١٢٣/٥.

(٢) وكانت من قبيلة إباد.

(٣) وفي الأغاني: «وكان نصرانياً من أهل الجزيرة».

لم يهتد. وعن فعلوا ذلك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي قال<sup>(١)</sup> له: «ألا تسلم فنفرض لك في الفيء ونعطيك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمرة؟ قال: وما تصنع بها، وإن أولها مُرٌّ وإن آخرها لُسُكر! فقال: أما إذا قلت ذلك فإن فيما بين هاتين لمزلة ما ملكك فيها إلا كعُلقة ماءٍ من الفرات بالإصبع».

ولا ينبغي لنا أن نفهم بأنه كان ملتزماً بكل ما يطلبه منه دين النصرانية، فهو كان يستغل الحرية الدينية ليتمتع بالخمرة وغيرها مما حرّمه الإسلام<sup>(٢)</sup>. وكان يستخفّ بدينه أحياناً، من ذلك أنه كان يحلف<sup>(٣)</sup> بالللات والعزى، ومنه قوله، عندما ضربه القس: «إذا جاء الدين ذللاً»<sup>(٤)</sup>، ومثله عندما سجنه القس في الشام لبذاءة لسانه، فتشقق به أحد بني هاشم فأطلقه القس، فقال رداً على تعجّب الهاشمي من خضوعه: «إنه الدين، إنه الدين»<sup>(٥)</sup>.

ويرى كثيرون أن خضوعه هذا، وتعليقه على ضرب رجل الدين له، أنه دليل على تديّنه وتمسّكه بدينه، ولكن الروايات المختلفة التي وصلتنا تدلّ فعلاً على أنه كان ينظر إلى رجال الدين النصارى نظرة احتقار، وهم لا يستحقّون أي احترام ومع ذلك كان ينصاع لهم! قال<sup>(٦)</sup> صاحب الأغاني: «كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان

---

(١) الأغاني: ٢٩٠/٨.

(٢) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان: ٢٠٥/١.

(٣) الأغاني: ٢٨٨/٨.

(٤) الأغاني: ٣٠٣/٨.

(٥) الأغاني: ٣١٠/٨.

(٦) الأغاني: ٣١٠/٨.

تمسكاً بدينه، فمرَّ به الأسقف يوماً، فقال لها: الحقِهِ فتمسَّحِي به،  
فعدَّت فلم تلحق إلا بذنب حماره، فتمسَّحت به ورجعت، فقال لها:  
هو وذنب الحمار سواء». وقد سمعه هشام بن عبد الملك يقول:

إذا افتقرت إلى الذخائر لم تحبذ  
دُخراً يكون كصالح الأعمال

فقال هشام: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام! فقال له: يا أمير  
المؤمنين ما زلت مسلماً في ديني<sup>(١)</sup>. ومما يدل على عدم تقيده بقواعد  
دينه، أنه طلق زوجته، وتزوج من أخرى، ومع ذلك كان يزور دور  
اللَّهُو والغناء ويشرب الخمر ويتغزل بها.

ومن أخباره في صباه أنه كان يعاني ضيقاً وفقراً، فاحتال ذات يوم  
على أمه - وقيل على زوجة أبيه - فأخرجها من البيت، وكان جائعاً  
فأتى ما في شكوتها من الزبيب والتمر، ولما رجعت علمت ما دهاها  
فعمدت إلى خشبة لتضربه بها فهرب وقال: <sup>(٢)</sup>

ألم على عنبات العجوز وشكوتها من غياث لم<sup>(٣)</sup>  
فظلت تنادي ألا ريلها وتلعن واللعن منها أمم

وقد أمضى فترة من شبابه ما بين الكوفة والبصرة، متنقلاً بين  
أشراف قومه، يمدحهم متكسباً، وسرعان ما يتوجّه إلى الشام لما  
سمعه من كرم ملوك بني أمية، وكان كعب بن جعيل التغلبي سبقه،  
ونال حظوة لدى معاوية، ما شجّعه للإقامة ما بين دمشق والجزيرة

---

(١) الأغاني: ٣١٠/٨.

(٢) الأغاني: ٣٠٢/٨.

(٣) غياث: اسم الاخطل. الشكوة: الوعاء.

حيث يقيم قومه من تغلب، وتزوّج منهم وشارك في الذود عنهم بلسانه، وهجا أعداءهم من القيسية، وقد تعرّض لخطر الموت في بعض غارات القيسيين على قومه، ولكنه ينجو ويقع في الأسر، ثم يهرب بعد تضليل سجنائه بأنه عبد خادم<sup>(١)</sup>، إلا أنه يُصدم بمقتل أحد أبنائه، ولا نعرف أيهم، فالذين ترجعوا له لم يذكروا عدد أولاده، وكل ما نعرفه أنه يُكنى أبا مالك.

### اتصاله بالحكّام:

علمنا أنه ترك موطنه في العراق واتجه إلى الشام عاصمة الخلافة، وكان يزيد بن معاوية قد طلب من كعب بن جُعيل، شاعر معاوية، أن يهجو الأنصار، ردّاً على بعض شعرائهم<sup>(٢)</sup>، وكان تغزّل برملة بنت معاوية وقال فيها:

ثمّ خاصرْتُها إلى القُبّة الخضراء  
تمثي في مرمٍ مسنونٍ  
ويرفض كعب ذلك بشدّة، يرفض أن يهجو قوماً آووا النبي ﷺ ونصروه، إلا أنه يدلّه على الأخطل ويشبه لسانه بلسان ثور لسلاطته، فاتصل به يزيد وضمن له الحماية، فانطلق يهجو الأنصار هجاءً عنيفاً ومما قاله:

ذهبت قريش بالسّاحة والندى واللّؤم تحت عيائم الأنصار  
وأبيات أخرى شنيعة إذ شبّههم باليهود وحطّ من قدرهم، ممّا

(١) تاريخ الأدب العربي - بروكلمان: ٢٠٦/١.

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ١٠٤ هـ.

أغضب النعمان بن بشير الأنصاري، فاشتكى إلى معاوية وطلب منه أن يبيعه لسان الأخطل، فباعه، ولكن يزيد يستدرك الموقف ويتدخل لدى والده، فيضمن حياة الأخطل ولسانه.

وتولى يزيد الخلافة سنة ٦٠ هـ فیدعو الأخطل إليه ويدنيه ويكرمه، وكذلك فعل خلفاؤه، فأسبغوا على شاعرهم النعم والعطايا، وبلغ أقصى غايته أيام عبد الملك بن مروان.

ولم تنتقص حياته إلا أيام هشام بن عبد الملك لما عرف به من بخل، وامتدحه ذات يوم فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضها<sup>(١)</sup> وخرج واشترى بها تفاحاً، وفرقه على الصبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبحه الله! ما ضر إلا نفسه.

وكذلك ساءت حاله أيام الوليد بن عبد الملك الذي جافاه، وقرب غيره.

ومن المفيد أن نتوقف قليلاً على أخباره مع عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، لتبين غور العلاقة بينهما ومدى تأثيرها على شاعريته. فقد أعجب به عبد الملك وأجزل له العطاء، ولما رآه يكيل لخصوم الدولة من القيسية وغيرهم ازداد إعجاباً به، حتى صار ينطق باسم البيت الأموي، ويدافع عنهم وعن حقهم في السلطة، فهجا الطامعين من الأحزاب الأخرى واستصغر شأنهم، وأغلظ لهم، ولم يكن يتحرج في هجائهم لنصرانيته، وعبد الملك في كل ذلك يبدي الرضى، ويمجزل العطاء، ويتغاضى عن تصرفات شاذة ارتكبها الأخطل، من ذلك أنه كان يدخل عليه ورائحة الخمرة تفوح منه

---

(١) الأغاني: ٣٠٤/٨.



والصليب يتدلى من عنقه، ويلبس الخنز، ويدخل، في كثير من الأحيان، على الخليفة دون استئذان<sup>(١)</sup>.

وتغرُّ الأيام، ويعلي عبد الملك منزلة الأخطل، فيخرج من ينادي بالناس بأن الأخطل شاعر بني أمية<sup>(٢)</sup>، وهذا شاعر أمير المؤمنين، هذا شاعر العرب.

أما الآخرون الذين اتصل بهم ومدحهم من خلفاء وولاة منهم: الوليد بن عبد الملك وهشام أخوه، ولم يكرِّماه كما بيَّنا، ومن الولاة: بشر بن مروان وكان والياً على الكوفة، والحجاج بن يوسف، وخالد بن يزيد بن معاوية، وعبد الله بن معاوية، ومن الأجواد مدح سهاك الأسدي. ومن القواد: مصقلة بن هبيرة، وعكرمة بن ربيع، وغيرهم.

### ثقافته:

ترتبط ثقافة الأخطل بنشأته الدينية أولاً، فقد أتاح له دينه أن يطلع على الإنجيل والتوراة وما فيها من أخبار ومعتقدات كما اطلع على اليهودية والإسلام، فترك كل ذلك آثاره في شعره وفكره. قال<sup>(٣)</sup> في مدح يزيد بن معاوية:

جزاك ربك عن مستفردٍ وجدٍ	نفاه عن أهله جُرمٌ وتشريدٌ
جزاء يوسف إحساناً ومغفرةً	أو مثل ما جُزي هارونَ ودأودُ
أو مثل ما نال نوحٌ في سفينته	إذ استجاب لنوحٍ وهو منجودُ

---

(١) الأغاني: ٢٩٩/٨.

(٢) الأغاني: ٢٩٤/٨.

(٣) ديوانه: ٧٩.

وواضح ما في الأبيات من أسماء للأنبياء، ولا يتأتى ذلك إلا لمن اطلع على أخبار الأنبياء.

أما المصدر الثاني لثقافته فيتمثل بالنشأة البدوية التي نشأها، فنهل من أخلاق أهل البادية، وحفظ أشعار الجاهليين واطلع على أيام العرب ومواقعهم وتقاليدهم، وكان يعينه في فهم واستيعاب ما يسمعه، قوة حافظة وشدة ملاحظة، ونباهة مفرطة، فتأثر بالنبغة الذبياني ونسج على منواله، في أناته وتنخيله، وأعجب بالأعشى، فسار على خطاه في وصف الخمرة.

ولكن، لا يبدو لنا أنه اطلع على العلوم العقلية كالفلسفة والمنطق، ولم يتأثر كثيراً بما كان يدور من حوله من مناظرات جدلية عورها الدين والعقائد، والسبب في ذلك أن مذهبه في الحياة يقوم على دعامين: اللذة والمتعة ووسيلة ذلك المال الذي كان يجنيه من مدائحه للحكام والخلفاء، والدعامة الثانية، تعصبه القبلي القائم على المصلحة التي كان يحرص عليها، فمن هنا كان الحافظ الديني عنده ضعيفاً، فلم يُقبل على الإسلام، ولا هو تعمق في أصول دين النصرانية، وهذا ما يفسر معاقبة القساوسة له بين الحين والآخر.

وفاته:

توفي سنة ٩٠ هـ أو ٩٢ هـ وقيل ٩٥ هـ، قبل وفاة معاصره الفرزدق بسنوات، وقيل له عند وفاته: أتوصي أبا مالك؟ فقال<sup>(١)</sup>:  
أوصي الفرزدق عند المساء      بأُم جريبر وأعيارها  
وزار القبور أبو مالك      برغم العداة وأوتارها

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١٧٧.



## الفصل الثالث

### أغراضه الشعرية



إن نشأة الأخطل، وحياته البدوية، ومواقفه من قضايا عصره، ومشكلات قبيلته تغلب، وصراعات القبائل والأحزاب وتنافرها، وبحكم موقعه المميز في البلاط الأموي، كل ذلك جعله ينهج طريقاً في الشعر يختلف قليلاً عن نهج كل من صاحبيه ومعاصريه: الفرزدق وجرير، فضلاً عن تمتعه بخلفية دينية تزيد في الفروقات القائمة بينه وبين أقرانه عموماً. كل ذلك أثر في التعبير عن أفكاره بشكل يضمن له تحقيق غاياته وأهدافه الشخصية منها والقبلية، وبالوسائل التي يملكها للضغط والتأثير انطلاقاً من خلفياته الدينية والسياسية والثقافية والقبلية.

### المديح:

إذا كان المديح من أكثر الأغراض الشعرية شيوعاً في الجاهلية، فقد ضعف صوته وانخفض في صدر الإسلام، وما بقي منه تحول إلى مديح صادق، لا يبغى الشاعر من ورائه إلا التعبير عن عواطفه بصدق، ويكشف عن إعجابه بفضائل ممدوحه دون مقابل، ودارت أكثر المدائح في ذلك العصر حول النبي ﷺ، وحول الخلفاء الراشدين من بعده. أما في العصر الأموي، فقد عاد المديح إلى سابق عهده، مع وجود شعراء فحول كانوا يجيدون الصنعة وعندهم من الدوافع ما يكفي ليكونوا مداحين، وأهم هذه الدوافع الصراعات القبلية والانقسامات المذهبية والسياسية وتعدّد الأحزاب، فضلاً عن تشجيع

كثيرين من الخلفاء والعظماء الشعراء بمكافأتهم على مدائحهم. أمّا فيما يتعلّق بالدافع الأول، فقد اتخذت كل فئة شعراء لها، كانوا يشكّلون الأبواق الناطقة، التي تدافع وتنافع وتتغنّى بمآثر هذه الجهة أو تلك، وكان مدح القوادر من مظاهر هذه الحركة، وقد ارتبط هذا النوع من المدح بالسياسة، لذلك يطلق عليه أيضاً الشعر السياسي لعلاقته الوثيقة بالسياسة.

أمّا الدافع الثاني للمدح، فكان المال، وقد مدح كثير من الشعراء دون اقتناع منهم طمعاً بالمال، أو خوفاً من ذوي السلطة، وتجنباً لبطشهم، كما كان يفعل الكميت بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦ هـ، وعبد الله بن قيس الرقيات (٧٥ - هـ)، ومدح عبد العزيز بن مروان في مصر. فكان لهؤلاء أهواؤهم السياسية المناوئة لبني أمية، ومع ذلك كانوا يمدحونهم رهبةً وطمعاً، فالكميت هاشمي الهوي، وعبيد الله زبيري.

أمّا الأخطل فقد اختصّه بنو أمية، واختاروه من بين عشرات، ليكون شاعرهم المفضل، والناطق باسمهم، الذائد عن حياضهم، العامل على تثبيت حكمهم. وقد أشرنا<sup>(١)</sup> إلى أولية اتصاله بالأمويين، أيام معاوية، وكان ذلك بطلب من يزيد ليردّ على الأنصار، وهم خصوم للأمويين، وأيام يزيد صار الأخطل ذا قدم راسخة في البلاط الأموي، فهو نديم يزيد، ورفيقه وملازمه حتى في حجّه إلى البيت الحرام<sup>(٢)</sup>.

قال يزيد في الحج وقد اشتاق إلى أهله:

---

(١) من هذا الكتاب. ص ٣٠.

(٢) الأغاني: ٣٠١/٨.

بكى كل ذي شجرٍ من الشام شاقه  
تهام، فأن يلتقي الشجيان  
وقال: أجز يا أخطل، فقال الأخطل:

يغور الذي بالشام أو يُنجد الذي  
بغور تهامات فيلتقيان

ولما توعدّه الأنصار، التجأ إلى يزيد، فليس غيره من يحميه، وكان  
معاوية قد تهذّه أيضاً، إن لم يمتنع عن هجاء الأنصار بقطع لسانه،  
فتدخل يزيد لدى والده قائلاً: «يا أمير المؤمنين، أتهب لسان من  
غضب لك، وردّ عنك؟» وراح ينشده ما قاله عبد الرحمن بن حسان  
في رملة بنت معاوية، إلى قوله<sup>(١)</sup>:

ثم خاصرناها إلى القبة الـ خضراء تمشي في مرمٍ مسنونٍ

فقال معاوية: «أما في هذا فقد أبطل!». فقال يزيد: «إني جعلت  
له ذمتك وذمتي، إذ ردّ عني، فقال معاوية للنعيمان بن بشير شاعر  
الأنصار وزعيمهم: لا سبيل إلى ذمة يزيد». ويبدو أنّ الأخطل تهيب  
الموقف وكفّ، منذ ذلك الوقت، عن إيذاء الأنصار.

وها هو الأخطل يمدح يزيد ويعبر عن كل ما تقدّم قائلاً<sup>(٢)</sup> بعد  
التمهيد بمطلع غزلي، على الطريقة التقليدية:

وإني غداة استعبرت أم مالك  
لراضٍ من السلطان أن يتهذدا

(١) الشعر والشعراء: ٣٢٠.

(٢) ديوانه: ٧٣.



أبا خالدٍ دافعت عني عزيمةٌ  
وأدركت لحمي قبل أن يتبددا  
وأطفأت عني نار نعمانٍ بعدما  
أغذتُ لأمرٍ عاجزٍ وتجرّدا<sup>(١)</sup>  
ولما رأى النعمان دوني ابن حرّة  
طوى الكشح إذ لم يستطعني وعردا<sup>(٢)</sup>  
ولاقى امرءاً لا ينقض القومُ عهدَه  
أمر القوي دون الوشاة وأحصدا<sup>(٣)</sup>  
ثم يتابع الأبيات فينت يزيّد بالصدق ويصفه بالشجاعة، ثم  
يذكر والده ويمدحه بالوفاء والعفة والمجد:  
وما وجدت فيها قريش لأمرها  
أعف وأوفى من أبيك وأجداد  
وهو أي يزيّد كريم جواد شجاع:  
يقلّص بالسيف الطويل نجاده  
خبيص إذا السربال عنه تقدّدا<sup>(٤)</sup>  
فأقسمتُ لا أنسى مدى الدهر سيّبه  
غداة الليالي ما أساغ وزودا<sup>(٥)</sup>  
ويسير على طريقة النابغة الذبياني فقارن بمدوحه يزيّد بنهر

(١) نعمان: هو النعمان بن بشير الأنصاري الذي اشتكى الشاعر إلى معاوية.

(٢) ابن حرّة: أراد به يزيّد بن معاوية. الكشح: البغضاء. عرد: تنحى.

(٣) أمر وأحصد: قتل الحبل وأحكمه.

(٤) يقلّص: يشمر. خبيص: هزّل. السربال: القميص. تقدّد: تقطّع.

(٥) السب: العطاء. أساغ: أعطى وأحزّل.

الفرات، وجعله يتفوق عليه بمطائه، حتى وهو في أوج هيجانه  
وفيضانه، يقصّر أن يعطي كما يعطي يزيد. قال<sup>(١)</sup> الأخطل:

وما مزبّدُ يعلو جزائر حامز  
يشقّ إليها خيزراناً وغرقد<sup>(٢)</sup>  
تحرّز منه أهل عانة بعدما  
كساورها الأعلى غشاء منضد<sup>(٣)</sup>  
يقمّص بالملاح حتى يشقّه إل  
حذار وإن كان المشيح المعود<sup>(٤)</sup>  
بمطرّد الأنبي جَوْنِ كأنما  
زفا بالقراقير النّعام المطرّد<sup>(٥)</sup>  
كأنّ بنات الماء في حَجَرَاتِهِ  
أباريقُ أهدثها ديافٌ لصرخد<sup>(٦)</sup>  
بأجود سيباً من يزيد إذا غدت  
به بُختُهُ يحملن مُلكاً وسِددا<sup>(٧)</sup>  
وقال<sup>(٨)</sup> النابغة في معلّته يمدح النعمان بن المنذر:

(١) ديوانه: ٧٦.

(٢) المزبّد: نهر الفرات. حامز: موضع قرب حلب. الخيزران والغرقد: نوعان من الشجر.

(٣) تحرّز: هاب. عانة: قرية على الفرات. الغشاء المنضد: الطمي المترام.

(٤) يقمّص بالملاح: يحرك السفينة. يشقّه: يتعبه. المشيح المعود: الحاذق.

(٥) الجون: الأبيض وأراد الزند. زفا: حثّ. القراقير: السفن. واحدها: قرقور.

(٦) دياف وصرخد: موضعان بالشام.

(٧) السيب: العطاء. البخت: الإبل الحراسانية.

(٨) ديوانه: ٣٠.

فما الفرات، إذا جاشت غواربه  
 ترمي أوذيه العبرين بالزبد  
 يمدّه كل وادٍ مترع، لجب  
 فيه ركّام من الينبوت والخضد  
 يظل، من خوفه، الملاح معتصماً  
 بالخيزرانة، بعد الأين والنجد  
 يوماً، بأجود منه سيب نافلة  
 ولا يحول عطاء اليوم دون غد

ويتبنّ من خلال المجموعتين، أن الأخطل يحذو حذو النابغة في  
 الشكل والمضمون، بل يبدو التكلّف والتصنع في أبياته واضحاً الأمر  
 الذي لم يلجأ إليه النابغة سابقاً. وإنّه إذ يكثر من استعمال الغريب في  
 شعره، فليس ذلك عن طريق الصدفة، بل كان يتعمّد ذلك بتأثير  
 البدواة، وإثباتاً لقدرته وتصرفه في غريب اللغة، وصار هذا منهجاً  
 يسلكه في كل قصائده.

وها هو نفسه يصرّح بأنه أمضى عاماً كاملاً، حتى أخرج قصيدته  
 الشهيرة «خفّ القطين»، ولم يبلغ فيها ما أراد، قال ذلك لعبد  
 الملك بن مروان بطريق الإزراء على جرير إذ ينظم المدحة في ثلاثة  
 أيام، وطلب منه عبد الملك أن ينشد القصيدة، فلما سمعها قال:  
 «ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الأفاق أنك أشعر العرب؟  
 قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

وكان الأخطل قد أعدّ هذه القصيدة، عندما علم بأن زعيم قيس

(١) الأغاني: ٢٨٨/٨.

زفر بن الحارث في ضيافة عبد الملك بن مروان، وأنه أدناه وأجلسه على سريره، ثم أثاره وأغضبه هو وقومه، فدخل دار الخلافة غاضباً وقال لعبد الملك: أئجلِس هذا معك على السرير وهو القاتل<sup>(١)</sup> بالأمس:

وقد ينبت المرعى على دِمن الثرى  
وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وعندما سمع عبد الملك ذلك، قبض رجله ثم ضرب بها صدر زُفر فقلبه عن السرير وقال: أذهب الله حزازات تلك الصدور. فقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والعهد الذي أعطيتني!. فكان زُفر يقول: ما أيقنت بالموت قط إلا تلك الساعة حين قال الأخطل ما قال.

افتتح الأخطل قصيدته بذكر رحيل الحبيبة، وعلى طريقة الجاهليين، ثم ينصرف إلى وصف الخمرة، فهو حزين لفراق الأحبة، وحزنه يشبه حال مَنْ شرب الخمرة المعتقة حتى فقد وعيه، ثم لا يلبث أن يعود إلى وصف الرحلة.

قال<sup>(٢)</sup> في أول القصيدة:

خَفَّ القطين فراحوا منك أو بكروا  
وأزعجتهم نوى في صرفها غير<sup>(٣)</sup>

---

(١) الأغاني: ٢٩٦/٨.

(٢) ديوانه: ١٠٠.

(٣) خَفَّ: أسرع. القطين: السكان. النوى: البُعد. الصرف: التغير. غير: متاعب.

كأنني شاربٌ، يوم استبدَّ بهم  
من قرقفٍ ضمننتها حمص أو جذر<sup>(١)</sup>

ثم تحدّث عن شوقه للنساء فقال:

شوقاً إليهم، ووجدأ يوم أتبعُهم  
طرقي، ومنهمُ بجنبي كوكب زُمر<sup>(٢)</sup>  
خشوا المطي، فولتْنا مناكبها  
وفي الخدور إذا باغمثها الصُور<sup>(٣)</sup>

بعد ذلك، أي بعد أن يفصل في وصف الخمرة وصفاتها والرحلة  
وأهوالها، وما لاقته الحبيبة وأهلها من المتاعب في السفر، وأثر الفراق  
على نفسه، يتخلّص إلى المديح يمدح عبد الملك بصفته إمام  
المسلمين وخليفته:

إلى امرئٍ لا تعدّينا نوافله  
أظفره الله، فليهنأ له الظفرُ  
أخائض الغمر والميمون طائره  
خليفة الله يُستسقى به المطرُ

وكان ذلك الأسلوب معروفاً ومتبعاً، يسير عليه كل شعراء  
العصر، في مدائحهم، وقد جمع في هذين البيتين من الصفات ما  
أمكنه للخليفة، فهو المظفر، الكريم الشجاع المؤيد بنصر الله، وهو

---

(١) القرقف: الخمرة تذهب بعقل صاحبها. جذر: قرية معروفة بصنع الخمرة.

(٢) كوكب: رابية بالخابور. الزمر: العصابات.

(٣) الخدور: المخايء. البغام: صوت الطباء. الصور: الدمى.

ملاذ المؤمنين في الشدائد حتى إنهم يتوسلون به إلى الله تعالى،  
ليغيثهم.

ثم يعبر عن صفة الكرم نفسها، بطريقة قديمة، جذدها الأخطل،  
وكان سبقه إليها النابغة كما أشرنا<sup>(١)</sup>، قال الأخطل:

وما الفرات إذا جاشت حوالبه  
في حافتيه وفي أوساطه العُشُر<sup>(٢)</sup>  
وذعدعته رياح الصيف واضطربت  
فوق الجأجىء من آذيه عُذُر<sup>(٣)</sup>  
مسحفر من جبال الروم يستره  
منها أكافيف فيها دونه زُور<sup>(٤)</sup>  
يوماً بأجود منه، حين تسأله  
ولا بأجهر منه، حين يُجْتهرُ

إنه، ومن خلال هذه الصورة، يستعير من الجاهليين، ويقلدهم  
فياخذ صورهم ويحوّرها، أو يمجّدها أو يقلبها، ليخرج بغيرها مما  
يتناسب مع جو قصيدته، وينطبق على واقع الحال، فالنابغة شبه  
النعمان، بجوده، بنهر الفرات حين يعلو ويفيض فيجرف ما يقع  
حواليه من نبات وأشجار. وفي المقابل نرى الأخطل لم يكتف في

---

(١) راجع ص ٤٢ من هذا الكتاب.

(٢) جاشت: فاضت. العشر: شجر صلب وقاس.

(٣) الجأجىء: واحدها الجؤجؤ: الصدر. الأذي: الموج. عُذُر: واحدها غدِير:  
جلول الماء.

(٤) مسحفر: سريع في مشيه. أكافيف: واحدها أكفاف: جانب الجبل. زُور:  
مُتيل.

المقارنة بين ممدوحه عبد الملك ونهر الفرات بالجلود فقط، لكنه شبهه به من حيث القوة والجهارة، وهنا يكمن التجديد في شعر الأخطل، وبذلك يتميز على النابغة.

وإذا نوغلنا في القصيدة، نراه ينتقل إلى التحدث عن ممدوحه كقائد عسكري، ويتجلى حسن قيادته في الجيش الذي وجهه إلى العراق، ليحارب مصعب بن الزبير، فهو يحارب ويبني القناطر ثم يهدمها بطريقة سريعة وخاطفة، تدل على نظر ثاقب، ومهارة ودربة في فنون القتال وأساليبه، فلا يكفي أن يحشد مائتي ألف مقاتل، فالمطلوب كثرة العدد مضافة إلى النوعية والعلم والأخذ بالأسباب:

مقدماً مائتي ألفٍ لنزله  
ما إن رأى مثلهم جنٌ ولا بشرٌ  
يفشى القناطر يبنّيها وهدمها  
مسوّم، فوقه الرايات والقتر

ويذكر الخصوم الزبيريين وغيرهم، بالملاحم والمواقع التي تشهد لممدوحه بالبطولة ومضاء العزم كيوم الطفّ حيث مقتل الحسين بن علي على يد جند يزيد، ففي هذا عبرة لأهل العراق كي يستقيموا، ويسجل بنو أمية نصراً آخر فيستبدون بأمور العراق بعد القضاء على خصومهم، وحسبنا ما يثيره مثل ذلك التذكير في النفوس!

لا يكفي الشاعر بذكر فضائل الخليفة، بل يمدح قومه من البيت الأموي: فهو بيت عريق في العزّ والمجد، وهو من أصفى فروع قريش، وفيهم من المكارم والصفات ما يؤهلهم ليكونوا سادة وملوكاً:

أعطاهم الله جدّاً يُنصرون به  
لا جد إلا صغير بعد عتقر

شمس العداوة حتى يُستفاد لهم  
وأعظم الناس أحلاماً، إذا قدروا  
وهكذا، فقد جمع الأخطل لبني أمية، طيب الأصل إلى المكارم إلى  
تأييد الله تعالى لهم باختيارهم ليكونوا خلفاءه على الأرض، ولماذا لا  
يسودون وفيهم أنفة وحلم وصبر على الشدائد، ومروءة وجود وسداد  
في الرأي وتواضع؟!

والأخطل، لم يكن شاعر البيت الأموي فحسب، بل كان ممثل  
تغلب ومن وراءها في البلاط الأموي، لذلك كان يستغل كل مناسبة  
لبنوه بدور قومه، ويذكر بخدماتهم الجليلة نحو الدولة الأموية قال  
يذكرهم بدفاعه عنهم ضد الأنصار:

بني أمية قد ناضلتُ دونكم  
أبناء قوم، هم آووا وهم نصروا  
وكان يمهّد بذلك لأمر أعد له وهو الطلب من عبد الملك أن يطرد  
زفر بن الحارث فقال:

بني أمية إني ناصحُ لكم  
فلا يبيتن فيكم آمناً زُفرُ  
ويعتد مآثر تغلب، ويفضّل في ذلك تفصيلاً، خصوصاً في  
الحروب التي خاضتها دفاعاً عن الحكم الأموي:

وقد نُصرت أمير المؤمنين بنا  
لما أتاك ببطن الغوطة الخبرُ  
أما الجزء الأخير من القصيدة فيدور على تنقص الأعداء، وقد  
هجاهم هجاءً مُقدّماً وأضاف إليهم كل المعاييب التي كانت تعير بها  
العرب. فقال شامتاً ومحقراً قيس عيلان:



وقيسُ عيلان، حتى أقبلوا رقصاً  
فبايعوك جهاراً بعدما كفروا  
قومُ تنامت إليهم كلُ غزبية  
وكلُ فاحشة سبت بها مضرُ  
واقسم المجد حقاً لا يحالفهم  
حتى يحالف بطن الراحة الشعرُ

يتضح من خلال ما تقدّم أن قصيدة المدح، عند الأخطل وخصوصاً مدائحه في عبد الملك، كانت تسير وفق النظام الذي سارت عليه هذه القصيدة، فهي متعدّدة الأغراض، كالقصيدة الجاهلية، أولها ذكر للأحبة ثم وصف للخمرة ويليهِ مدح ثم فخر وهجاء للأعداء. وهكذا، فإن الأخطل لم يكن ناطقاً باسم الأمويين فحسب، بل هو سفير قبيلته تغلب لدى البلاط الأموي، وهو إذ يمدح الخليفة يفاخر بقبيلته، مما أعطاه دوراً مميزاً، فصار في منزلة فوق منازل الشعراء، فهو يمثل الصديق والنديم بالنسبة إلى عبد الملك، ولربما المستشار السياسي، ويتجلّى ذلك بإذعان الخليفة لرغبة الأخطل وطرده زفر بن الحارث من مجلسه.

أخيراً، لسنا ندّعي أن الأخطل نجح تماماً في تجديد القصيدة المدحية، ولكنه قد فعل، فجاءت قصائده مزيجاً بين القديم الجاهلي وبين ما أفرزته المعطيات الجديدة في البيئة الإسلامية، والتي تمثلت بوجود دولة وسلطة مركزية، وخليفة قوي، ومظاهر ثراء وحضارة وما إلى ذلك من عناصر ساهمت في تطوير المدحة عموماً، والأخطل بشاعريته الفذة، استطاع أن يستغل كل ما تقدم ليخرج قصائده إخراجاً جديداً، ولو أنه اتكأ على الصور القديمة في كثير من الأحيان، ولكن يبقى أثر البيئة الإسلامية واضحاً مع كون الشاعر نصرانياً،

فصورة الخليفة والعدالة، والحق الشرعي، ومبدأ التسليم والإذعان للخليفة، والتوفيق الإلهي وما رافق كل ذلك من اصطلاحات وألفاظ، لمن مظاهر التجديد عند الأخطل، كتكرار لفظة الجلالة، وأمير المؤمنين وقوله خليفة الله . . .

واستطاع الأخطل أن يجدد القديم نفسه، ويزيد عليه: إذ كان يعلم أن ممدوحه يطربون ويعجبهم أن يمدحوا بالطرق التقليدية، فلجأ إلى القديم واغترف ما أمكنه من صور وأدوات خصوصاً ما يتعلّق بالفضائل والمكارم، كالشجاعة والبطولة والتشبيه بالبحر والغيث وما إلى ذلك، والأمر المميّز هنا أنه نجح في توليد صور وأفكار جديدة وطريفة من القديم كما في صورة الفرات، وشخصية الممدوح تختلف عن الممدوحين في الجاهلية، ففيها من البريق ما يكفي ليستوحي الشاعر من جوانبها المتعدّدة، فهو خليفة وقائد عسكري، وإنسان ذو سيرة حميدة، وسليل أسرة كريمة . . .

وإذا كانت مدائحه في يزيد بن معاوية وفي عبد الملك تتميز بحرارة الانفعال والقوّة والاندفاع، وجزالة الألفاظ وفخامتها، فإننا نمضي قدماً لنكتشف أن فتوراً يعتري هذه العاطفة أيام الوليد بن عبد الملك، الذي أدنى إليه شاعراً مسلماً هو عدي بن الرقاع العاملي وجعله شاعره الرسمي، الأمر الذي حرّ في نفس الشاعر وأحزنه، فبدأ ذلك في مدائحه، قال<sup>(١)</sup> يمدحه بعد أن مهّد بذكر الأجبّة:

لولا الوليدُ، وأسبابُ تناوَلني

بهنّ، يومَ اجتماعِ الناسِ بالثَلَمِ<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه: ٣١٥.

(٢) الثَلَم: موضع بالشام.

إِذَا لَكُنْتُ كَمَنْ أودى ووداه  
أهل القرابة بين اللحد والرَّجَم<sup>(١)</sup>  
فهو ينوّه بحماية الوليد له وتعهده، ثم يذكر جوده في توزيع المال  
دون ضجر أو تأفف:

ما يجرمُ السائل الدنيا، إذا عرضت  
وما تعود منه المأل بالقسم  
لا يستنقل رجالاً ما تحمله  
ولا قريبون من أخلاقه العظم  
ولا يقلّ بنو أمية، على العموم، عن الوليد، فهم بنظر الشاعر خير  
الناس وأشدّهم عند البلاء، وأكرمهم عطاءً:  
فهم هنالك خير الناس، كلهم  
عند البلاء، وأحماهم على الكرم  
ولا يفوته أن يتحدث عن أحقيّتهم بالخلافة، ويبيد سعادته في  
ذلك:

فلذا أتتكم وأعطتكم بدرتها  
فاحتلبوها هنيئاً، يا بني الحكم  
ويصل إلى نهاية الأبيات دون أن يفتخر بمآثر قبيلته، كما عودنا  
سابقاً في مدائحه الطنّانة في عبد الملك، بل على العكس، تظهر  
نفسية المنكسرة المحطّمة، فهو خائف مترقّب، وقد أظهر ذلك في  
عدة مواقع من هذه القصيدة، وهو إذ يؤكّد إخلاصه وصدق طويته،

---

(١) وداه: دفنه. الرّجَم: كومة الحجارة، وأراد القبر.

يطلب إليهم أن يشملوه بالرعاية، ولا يأخذوا بالشوايات التي تستهدف إقصاءه:

لولا بلاؤكم في غير واحدة  
إذا لقمْتُ مقامَ الخائفِ الزَّرمِ  
وقد علمتُم وإن أصبحتُ نائيكم  
نصحي، قديماً، وفعلي غيرُ متهم  
لقد خشيتُ وشاةَ الناسِ عندكم  
ولا صحيح على الأعداء والكلم

ولم يكثر الأخطل من مدح الوليد، لأنه لم يعيش طويلاً، ولا نقيم في ديوانه إلا على خمس قصائد في مدحه، تتشابه من حيث ضعف العاطفة وسيطرة النغم الحزين عليها، وافتقارها إلى الحيوية والانفعال.

كذلك الأمر، في مدائحه للولادة، فإنها تختلف عن تلك التي قيلت في الخلفاء، وهذا أمر طبيعي، لاختلاف الدوافع والمؤثرات. وها هو يمدح الحجاج بن يوسف، فيستهلّ بمطلع غزلي ينتقل بعده إلى المدح فيتغنّى ببطش الحجاج بالأزارقة<sup>(١)</sup>:

فعليك بالحجاج لا تعدل به      أحداً إذا نزلت عليك أمورُ  
ولقد علمتُ بلاءه في معشرٍ      تغلي شناه صدورهم وثغورُ<sup>(٢)</sup>  
طلب الأزارق بالكتائب إذ هوت      بشيب غائلة النفوس غدورُ

وفي مدحه لبشر بن مروان، يسيطر الجفاف على الأبيات، فيفتح

(١) ديوانه : ١١٨

(٢) شناه : بغضاؤه.

إحدى مدائحه بالغلزل ثم يشكو ويكشف ما يعتره من غم وقد خذله  
بنو شيبان، فيتوجّه إلى بني أمية الذين ألبسوه ثوب الكرامة وأفاضوا  
عليه من النعم، على يد أبي مروان بشر، قال<sup>(١)</sup>:

وإن بني أمية ألبسوني      ظلال كرامة، ما إن نزولُ  
تولّاهما أبو مروان بشرٌ      لفضل، ما يُمنُّ وما يحولُ  
ويتحوّل إلى وصف الأعداء وفلولهم منهزمين، وينتهي إلى تصوير  
ما اعتراه من الشدة لو تعرّض له الفيل لما احتمل:

وضنك لو يقوم الفيل فيه      لأرعدت الفرائص والخصيلُ  
حبست به على المكروه نفسي      وليس يقومه إلّا قليلُ  
وخلاصة القول إن الأخطل قد عاش عصره الذهبي أيام  
عبد الملك بن مروان، فمنحه أروع قصائده وأفخمها، وحظي برضى  
الخليفة، وحمايته، لذلك كان لا يتردّد في أن يمدحه في كل مناسبة  
ويكرّر حق الأمويين في الحكم دون سواهم:

وقد جعل الله الخلافة فيكم  
بأبيض لا عاري الخوان ولا جدب  
ولكن رآه الله موضع حقها  
على رغم أعداء وصدّاقه كُذّب<sup>(٢)</sup>

كما حرص على بيان تهافت الأعداء، وتقصيرهم عن المطالبة  
بالسلطة، فهم أقل من أن يحكموا، لذلك هجا الزبيريين والخوارج  
وعرّض بكل من تسوّّل له نفسه أن يطمع في الملك. ولكن أشد

---

(١) ديوانه: ٢٩٣.

(٢) ديوانه: ٢٧. كُذّب: جمع كذوب.

حملاته كانت ضد القيسيين وسأتي إلى ذلك مفصلاً.

إذاً تتضمن مدائح الأخطل دعوة سياسية إلى تأييد الأمويين والالتفاف من حولهم، كما تتضمن المعاني التي ترضي المدحوحين ويرون لها علاقة بتحقيق أهدافهم السياسية: حشد على الحق، عيافو الخنا... كان لهم مخرج، أعطاهم الله جداً، شمس العداوة...

وقيل لأبي العباس السفاح، بعد قضائه على الأمويين إن شاعراً قد مدحك أفتسمع شعره؟ قال: وما عسى أن يقول في بعد قول ابن النصرانية في بني أمية:

شمس العداوة حتى يستفاد لهم  
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فالشاعر جمع في البيت معنيين عظيمين: البطش، والقوة مضافة إلى العقل والرزانة. كما نجح في إثبات ما لنفسه ولقبيلته من الحق على الأمويين لما بذلوه في سبيلهم من التضحيات، وهو نفسه لطالما تعرّض للمخاطر! لذلك فإن الإخلاص والود في تغلب لا في سواها على رأيه، وفي هذين التوجيهين من الذكاء السياسي عند الأخطل ما لم يكن عند غيره، فليس غريباً أن يُقال بأنه أقدر شعراء عصره على النضال السياسي.

أما من حيث الأساليب والصور، فإن قصائده امتازت برصانة الألفاظ وجزالتها، وقوة الأسلوب والقدرة على التوليد والتسلسل المنطقي في أفكاره، إضافة إلى ميله الفطري في استخدام الصور البدوية (الميمون طائره، يستسقي به المطر، شمس العداوة)، مع بعض نفحات تدلّ على حياة الحضرة التي عاشها.

## الهجاء :

عُرف الهجاء قديماً، وكان يحتدم مع احتدام الصراعات القبلية، حتى قيل إن بيتاً من الشعر، في الجاهلية، كان يخفض قوماً ويرفع آخرين، وكثيراً ما كانت تشور المعارك بسبب بيت أو قصيدة. وفي صدر الإسلام، خفت صوت الهجاء القبلي المقذع، لتعارضه مع الدين، ولكن بعض شعراء قريش ظلوا على ما كانوا عليه من إقذاع فهجوا المسلمين مما أدى إلى الرد عليهم بما يسكتهم وحسبنا حسان بن ثابت شاعر النبي ﷺ.

وفي العصر الأموي، حيث الصراعات الحزبية السياسية والفئوية، والعصبيات القبلية تأججت نيرانها واستعمرت، واستيقظت الضغائن والأحقاد، ووافق كل ذلك سفك للدماء وحروب طاحنة، شارك فيها الشعراء مشاركة فاعلة، لم تهدأ ولم تسكن إلا مع بداية العصر العباسي حيث اتخذ الهجاء منحى آخر.

اتخذ الأخطل موقعه في ما كان يدور من حوله، فشارك في المعارك اللسانية، وكان مستعداً في كل موقف، وكثيراً ما كان يمدح ويفخر ثم يهجو في القصيدة الواحدة على نحو ما رأيناه في قصيدته الدرة «خَفَّ القطين». ونذكر هنا بالمساعي التي بذلها عبد الملك في تهدئة ما بين قيس وتغلب، وفي سنة ٧٣ هـ يستقدم إلى دمشق زعماء القبيلتين لإتمام الصلح، فيدخل الأخطل وعنده الجحاف السلمي فينشد<sup>(١)</sup>:

ألا سائل الجحاف هل هو نائرٌ  
بقتلى أصيبت من سليم وعامرٍ

---

(١) ديوانه: ١٣٠.

أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي  
عليك بحور طاميات الزواجر  
فغضب الجحاف، وتوجّه إلى قومه في الجزيرة، وجمع فرسانهم  
وأغاروا على بني تغلب فأصابوا منهم مقتلة عظيمة، وبقروا بطون  
الحوامل، وقتلوا غير الحوامل من النساء في معركة عرفت باسم  
«البشر» نسبة إلى المكان الذي وقعت فيه. وفي هذه الواقعة قتل أحد  
أبناء الأخطل وأسر هو نفسه، ولكنه ضلّ من أسره وفرّ منه على أنه  
عبد، كذلك هرب الجحاف إلى بلاد الروم، حتى هدأ غضب  
عبد الملك فأمّنه وعاد ليؤدّي الحملات عمّا سفك من الدماء، ولكن  
الأخطل لم تهدأ نفسه، فما زال يتألم، ويهدّد بني أمية بالانصراف عنهم  
إن لم يأخذوا بثأره فيقول<sup>(١)</sup>:

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً  
إلى الله منها المشتكى والمعولُ  
فسائل بني مروان ما بال ذمة  
وحبل ضعيف لا يزّن يوصلُ  
فلأ تغيرها قريش بملكها  
يكن عن قريش مُستردّ ومزحلُ  
فقال عبد الملك: إلى أين يا ابن اللخنة<sup>(٢)</sup>؟ قال: إلى النار يا أمير  
المؤمنين. قال: أما والله لو غيرها قلت لضربت عنقك.  
ومّا كان يقدّم فيه الهجاء، ولكنه حافظ على شيء من العفة على

---

(١) الشعر والشعراء: ٣٢١. وفيه مستهزأ ومزحلُ أي انفصال ورحيل.

(٢) اللخنة: الفاسدة.



حدّ قوله هو نفسه : « ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن  
تتشده أباهاً »<sup>(١)</sup>. وقال جرير ردّاً على سؤال : « وأما الأخطل فأشدنا  
اجترأً وأرماناً للفرائص »<sup>(٢)</sup>. ومن أوائل شعره قوله<sup>(٣)</sup> ردّاً على  
كعب بن جعيل عندما سمّاه الأخطل :

سُمِّيت كعباً بشر العظامِ      وكان أبوك يُسمّى الجعل  
وإنّ محلك من وائلٍ      محلّ الفرد من أست الجمل  
ومن الجدير بالذكر أن كعباً هذا كان شاعر تغلب ويحسب له ألف  
حساب بين الشعراء ، فليجّ الهجاء بينهما منذ ذلك الوقت ، وما قاله في  
أمّ كعب :

هجا الناس ليل أمّ كعبٍ فمزّقت  
فلم يسبقَ إلّا نفنّف أنا رافعة<sup>(٤)</sup>  
ومن هجاهم الأخطل جارية من قومه ، فقال لأبيها : يا أبا الدلاء ،  
إن ابتك تعرّضت لي فاكفّفها . فقال له : هي امرأة مالكة لأمرها .  
فقال<sup>(٥)</sup> الأخطل :

الا أبلغ أبا الدلاء عني      بأنّ سنانَ شاعركم قصيرُ  
فإن يَطْعَنَ فليس بذّي غناءٍ      وإن يَطْعَنَ فمطعنه يسيرُ  
متى ما ألقه ومعى سلاحي      يخرّ على قفاه فلا يحيرُ

(١) الأغاني : ٣٠٠ / ٨ .

(٢) الأغاني : ٢٨٥ / ٨ .

(٣) الأغاني : ٢٨١ / ٨ .

(٤) الأغاني : ٢٨٢ / ٨ . والنفنّف : الهواء ، وأراد الشيء القليل .

(٥) الأغاني : ٣٠٤ / ٨ .

فمشى أبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه، فقال: أمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد. وواضح ما أضمر في الأبيات وخبّا، إلّا أنه طَبّق ما قاله حول العَقّة، فلم يذكر العورات.

ومرّ ذات يوم ببني رؤاس في الكوفة ومؤدّتهم ينادي بالصلاة، فقال له بعض فتيانهم: ألا تدخل يا أبا مالك فتصلي؟ فقال<sup>(١)</sup>:

أصلي حيث تدركني صلاتي      وليس البرُّ عند بني رؤاس  
فهو لم يمتنع عن الصلاة فحسب، لكنه هجا القوم بنفي البرِّ والخير عن حيهم جميعاً.

ومن هجائه الذي جاء على صورة المدح قوله<sup>(٢)</sup>:

نعم المجيرُ بِمأك من بني أسدٍ  
بالقاع إذ قتلَ جيرانها مُضرُ  
قد كنت أحسبه قيناً وأخبره  
فاليوم طُير عن أثوابه الشرُّ

فقال له سيّاك: يا أخطل، أردت مدحي فهجوتني! والظاهر أنه لم يتعمّد هجاءه، ولكنه سقط، وليس غريباً أن يسقط فلكل جواد كبوة!

وإذ كان في خلوة له، كره أن يثقل عليه أحد، فقال<sup>(٣)</sup> يهجو ثقيلاً طراً عليه وشرب شرايه:

---

(١) الأغاني: ٣١٣/٨. وبنو رؤاس حي من بني عامر من صعصعة وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة.

(٢) الأغاني: ٣١٢/٨.

(٣) الأغاني: ٣١٣/٨.

وليس القذى بالعود يسقط في الإناء  
ولا بذباب خطبه أيسر الأمر  
ولكن شخصاً لا نُسرُ بقربه  
رمتنا به الغيطان من حيث لا ندري

ولكن أهم أهاجيه هي تلك التي قالها في إطار ما سمّوه  
بالنقائض، وشعراء النقائض في العصر الأموي هم جرير والفرزدق  
والأخطل، وقد تهاجى الثلاثة، وبعنف، بسبب الحياة العصبية التي  
عاشها العراق؛ ثم إنهم اعتبروا ذلك ضرباً من ضروب التسلية لملء  
الفراغ، فكان ينصب للفرزدق وجرير كرسيان فيجلس كل منهما  
وحوله مناصروه في سوق المبرد، فيهجو كل منهما الآخر ويفخر بقبيلته  
ويعرض بالقبائل الأخرى، وتسير هذه القصائد عادة، على الروي  
نفسه والوزن ذاته. ومن الطريف أن هؤلاء الشعراء الثلاثة قد تهاجوا  
طيلة حياتهم وخصوصاً جرير والفرزدق، ولم يكونا عدوين، بل كانا  
صديقين.

وكان لجّ الهجاء بين الشعراء الثلاثة عندما اجتمعوا ذات يوم لدى  
بشر بن مروان الذي سأل الأخطل أن يحكم بين الفرزدق وجرير أيهما  
أشعر؟ فتردّد ثم قال<sup>(١)</sup>: «الفرزدق ينحت من صخر، وجرير يغرف  
من بحر». فلم يرض جرير بذلك وقال يهجوا الأخطل:

يا ذا الغباوة إن بشراً قد قضى  
الأُ تجوز حكومة النشوان  
فدعوا الحكومة لستم من أهلها  
إن الحكومة من بني شيبان

(١) الأغاني: ٣١٥/٨.

قتلوا كليبكم بلفحة جارهم  
يا خُزرز تغلبَ لستم بهجان<sup>(١)</sup>  
فقال الأخطل يردّ عليه :

ولقد تناسبتم إلى أحسابكم      وجعلتم حَكماً من السلطان  
فإذا كليبٌ لا تساوي دارماً      حتى يُساوى خُزرزُ بأبان<sup>(٢)</sup>  
وإذا جعلت أباك في ميزانهم      رجحوا وشال أبوك في الميزان  
وإذا وردت الماء كان لدارم      عفواته وسهولة الأعطان  
ومن مناقضاتها قول<sup>(٣)</sup> جرير :

إذا أخذت قيس عليك وخندف  
بأقطارها لم تدبر من أين نسرُح

فقال الأخطل : لا أين ! سدّ والله عليّ الدنيا .

فلما أنشد قوله :

فما لك في نجدٍ حصاةً تعدّها      وما لك من غوري تهامة أبطحُ  
وفُتح القول للأخطل فأنشد :

ولكن لنا برّ العراق ويحره  
وحيث ترى القُرْقُورَ في الماء يسبح<sup>(٤)</sup>

---

(١) إشارة إلى مقتل كليب على يد جساس بن مرة .

(٢) كليب : عشيرة جرير . ودارم عشيرة الفرزدق . خُزرز وأبان : جيلان .

(٣) الأغاني : ٣١٦/٨ .

(٤) الأغاني : ٣١٦/٨ . والقُرْقُور : السفينة .

ومن أشنع الهجاء قوله<sup>(١)</sup> في جرير وقومه :

قومٌ إذا استنبَح الأضيافَ كلبهم  
قالوا لأئهم: بولي على النارِ  
فتمسك البولُ بخلًا أن تجودَ به  
وما تبول لهم إلا بمقدارِ  
لا يثأرون بقتلهم، إذا قُتلوا  
ولا يكرُّون، يوماً، عند إجحارِ  
فاقعد، جرير، فقد لاقيت مطلقاً  
صعباً، ولافاك بحرٌ مُفعمٌ جارٍ

قد اتهمهم بالبخل الشديد، فهم لا يستقبلون الضيف، ولا  
يجودون بالماء يطفئون به النار فيستعينون بأنهم لتقوم بذلك بطريقة  
مزرية، وفي ذلك من الشناعة أعظم مما في البخل نفسه، أي  
ارتضاؤهم لأنهم أن تكشف عورتها. وفي الصورة الثانية يتهمهم  
بالجن، وفي البيت الأخير ينصح جريراً بأن يكف عن التعرض له  
لأنه كالبحر يجرفه.

ومن أهم نقائضه مع جرير، ما ورد في قصيدة «خف القطين» من  
هجاء لقيس وكتب وكليب بن يربوع عشرة جرير فقال<sup>(٢)</sup>:

أما كليبُ بن يربوع فليس لهم  
عند التفارط إيرادٌ ولا صدرُ  
قوم أنابت إليهم كل غزية  
وكل فاحشة سبَّت بها مضرُ

---

(١) ديوانه : ١٦٦ .

(٢) ديوانه : ١٠٩ .

بش الصُّحاة وبش الشُّرب شُرْبهم  
 إذا جرى فيهم المِزَاء والسُّكْر<sup>(١)</sup>  
 الأكلون خبيث الزاد، وحدهم  
 والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ  
 إذا، بصوّر الأخطل قوم جرير في أقبح صورة من الجبن والقذارة  
 والجهل، بل هم، على حدّ قوله جمعوا الخزي كلّه فصاروا عاراً.  
 وسرعان ما يرّد عليه جرير مسلّطاً سيّاهمه على عيوب تغلب وهزائمها،  
 مفاخراً بانتصارات قبيلته في الجاهلية، قال<sup>(٢)</sup>:

خابت بنو تغلب إذ ضلّ فارطهم  
 حوض الكارم إن المجد مبتدّر  
 الظاعنون على العمياء إن ظعنوا  
 والسائلون بظهر الغيب ما الخبرُ  
 الأكلون خبيث الزاد، وحدهم  
 والنازلون إذا وارا هم الخمرُ  
 حتى سمعتُ بخنزير ضفا جَزَعاً  
 منهم فقلت أرى الأموات قد نُشروا

ومن الواضح، أنه ردّ على ما جاء في قصيدة الأخطل معنيّ معنيّ،  
 وزاد بأن سيّاه خنزيراً، استخفافاً به وتحقيراً لنصرانيته. ومن نقاط  
 ضعف الأخطل في الهجاء نصرانيته، التي وجد فيها خصومه،  
 وخصوصاً جرير والفرزدق، مطعناً عليه، فكان إذا سمع منها ما

(١) المِزَاء: الخمرة الكريمة.

(٢) ديوان جرير: ١٩٦.

يتعلّق بكفره سكت ولم يجر جواباً ولذلك قال<sup>(١)</sup> جرير ردّاً على سائله :  
لقد أعنتُ عليه بكفرٍ وكبر سنٍ، وما رأيته إلا خشيت أن يبتلعني .

وكان الأخطل يدرك تلك الحقيقة، ويعترف لتفوّق جرير عليه في  
الهجاء، وكان يظنّ أنه أقدر منه في تصوير المعاييب، وإذا بجرير  
يغلبه في قوله<sup>(٢)</sup> :

والتغليبي إذا تُنبّح للقرى      حكّ استه وتمثّل الأمثالا  
ومن طريف ما هجا جريراً به قوله :

أوصي الفرزدق عند الممات      بأُم جرير وأعيارها<sup>(٣)</sup>  
فيرةً عليه جرير قائلًا :

زار القبور أبو مالك،      فكان كالأم زوارها<sup>(٤)</sup>  
تنوح بناتُ أبي مالك،      يوقِ النصارى ومزمارها  
لقد سرّني وقع خيل الهذيل      وترغيمُ تغلب في دارها

ولقد بلغ من سلاطة لسانه، وجراته أنه تهاجى مع جرير في مجلس  
عبد الملك بن مروان، إذ قال<sup>(٥)</sup> له جرير: «أين تركت خنازير  
أمك؟» قال الأخطل: «راعية مع أعيار أمك، وإن أتيتنا قريناك  
منها!» فأقبل جرير على عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، إن رائحة  
الخمير لتفوح منه، فصدّقه وقال معتذراً هاجياً:

---

(١) الأغاني: ٢٩٩/٨ .

(٢) الأغاني: ٣١٨/٨ . وقال عن هذا البيت: «لم تبق سقاة ولا أمشالها إلا  
رووه» .

(٣) أعيار: جمع عبر: حمار. الأغاني: ٣٠٥/٨ .

(٤) أبو مالك: كنية الأخطل. انظر ديوان جرير: ٢٣٥ .

(٥) الخبر بتهامه في الأغاني: ٣٠٧/٨ . وكذلك قصة أبي سَواج المذكور في الشعر .

تعيّب الخمر وهي شرابٌ كسرى  
ويشرب قومك العجَبَ العجيبا  
مَنِيَّ العبيدِ عبدِ أبي سُواج  
أحقُّ من المدامةِ أن تعيبا  
وكعادته، يقدّم لنا نقيضة أخرى، بعد أن يمدح بشر بن مروان  
وعلى الطريقة التقليدية من حيث الافتتاح بالغزل ثم التدرُّج إلى المدح  
بالصفات التي يحبها الممدوح، يتقل بعد ذلك إلى التفاخر والهجاء.  
يقول<sup>(١)</sup>:

لقد عجموا مَنِيَّ قناةَ صليبةٍ  
إذا ضجَّ خَوَّارُ القناةِ مَؤمُها  
وإنِّي لَقَوَّامٌ مُقاوِمٌ، لم يكن  
جَريراً، ولا مولى جَريِرٍ يَقومُها  
أيشتمني ابنُ الكلبِ أن فاض دارمُ  
عليه ورامى صخرةً ما يرومُها<sup>(٢)</sup>  
يغني ابن يربوع بشتمي أمه  
وما انفلتت مَنِيَّ صحيحاً أدبها<sup>(٣)</sup>  
ويتابع بأبيات فيها من القذارة ما يمنعني من إيرادها ههنا، فيسمي  
والدة جرير المراغة ويتهمها بالفاحشة ويشبّها بالناقة...  
ولم يقتصر هجاؤه على جرير أو الفرزدق لكنه هجا آخرين فقال<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه: ٣٢١.

(٢) دارم: قوم الفرزدق.

(٣) ابن يربوع: جرير. وقصد أنه شتم والدته فلم يبق لها على ستر.

(٤) ديوانه: ٣١٠.



يهجو رجلاً من بني كلب اسمه جميع :

وانظر جميعُ إذا قناتُك مُزهرتُ

هل في قناتِكَ قاذحُ ووُصومُ  
أبني قُريبةً إنه يُحزبُكم

نسبُ إذا عُدَّ القديمُ لثيمُ  
من والدٍ دَنَسٍ وخالٍ ناقصٍ

وحديثُ سوءٍ فيكم وقديمُ

ولا نكاد نقع على جديد في المعاني التي يسوقها في الهجاء، سواء  
ضد جرير وقومه أم في غيرهم . فهو يبحث عن المطاعن في النسب  
وفي الأصل الديء وفق معايير الجاهلية ، وفي النقض الأخلاقي  
والافتقار إلى الشهامة والمروءة في القول والفعل ، فضلاً عن معنى  
الجن والبخل ، حتى إنه كان يرى في الفقر ما ينفذ من خلاله ضد  
مهموه . قال<sup>(١)</sup> في بني كليب :

كل الكارم قد بلغت ، وأنتم

زَمِعُ الكلاب مُعانقو الأطفالِ

وكانما نَسِيتُ كليبَ عِزِّها

بين الصريح وبين ذي العُقَالِ<sup>(٢)</sup>

وإذا أتيت بني كليب ، لم تجد

عدداً يُهابُ ولا كثيرَ نوالِ

قد أضاف عيباً جديداً يطعن به على أعدائه وهو رعيهم للحمير

(١) ديوانه : ٢٦٠ .

(٢) الصريح : ماء لبني نضل . ذو العقال : موضع بني رباح بن يربوع .

وقلة عددهم! ومن الصور الطريفة في التعبير عن خستهم وبخلهم قوله<sup>(١)</sup>:

سودُ الوجوه، وراء القوم مجلسهم  
كأن قائلهم في الناس مسترقُ  
البائتون قريباً، دون أهلهم  
ولو يشاؤون أبوا الحي أو طرقوا  
وهم من شرار الناس على زعمه، ومن أقلهم شأنًا، وهم لا  
يبيتون في منازلهم، بل يتعدون عنها خشية استقبال الضيوف. وقال<sup>(٢)</sup>  
يجو بني زيد اللات:

فأنتم أكلتم جازكم في بيوتكم  
كما قد أكلتم قبل ذاك المقنعا<sup>(٣)</sup>  
وقال<sup>(٤)</sup> يجو سويد بن منجوف السدوسي وقومه:  
فإن نعف عن حمران بكر بن وائل  
فما إن لنا سودانهم بصديق  
فهو يتهمهم بالغدر والخيانة إثر طلبه من سويد لأمر لم يقضه.  
الفخر:

من الفنون التي عرفت قديماً كالمديح والهجاء، وكان الشاعر آنثي

---

(١) ديوانه: ٢١٨.

(٢) ديوانه: ٢٠٥.

(٣) المقنع: هو المقنع الكندي شاعر أموي، أنفق ماله وكثر دينه، فعيّره أبناء عمه بفقره ولم يصاهره.

(٤) ديوانه: ٢١٦.

يفخر بنفسه بفضائله ومكارمه من شجاعة وكرم، كذلك يتغنى بأعجاد قبيلته ويذكر مروءاتها مع مقدارٍ من المبالغة، كما في فخر عمرو بن كلثوم في معلقته.

ولا يأتي عصر النبوة، إلا ويتحوّل ذلك الفخر، إلى فخر جماعي بمآثر الإسلام والمسلمين، وإنجازاتهم وما حقّقوه من انتصارات على الكفر في شتى الأنحاء، ويختفي منه كل أثر للفردية أو العصبية العمية، ولكنه سرعان ما يرجع سيرته الأولى في العصر الأموي للأسباب ذاتها، التي ساهمت في تأجيج الهجاء، وفي الواقع قد تداخلت هذه الفنون الثلاثة ولأسباب سياسية وعصبية وحزبية ومذهبية، وعنيت المدح والفخر والهجاء، فبتناظر الفئات المختلفة ظهر شعراء يؤيدون فيمدح أنصاره وجماعته ويفاخر بأعمالهم وفي الوقت ذاته يهجو أعداءهم، وأكثر ما يلاحظ ذلك في قصائد الأخطل، وأشرنا إليه في قصيدة «خف القطين»، حيث افتخر بنفسه وبقبيلته تغلب.

ويقوم الفخر أساساً على مبدأ التفوق، لذلك كان يلجأ الشعراء إلى المبالغة أحياناً من أجل إشباع مركبات العظمة في نفوسهم، وإرواء ما فيها من تعطش للنيل من خصومهم ولو بالكلمة فقط دون السيف، ولا ريب بأن ذلك يشتدّ عندما يتعد الناس عن جادة الصواب، ويشتغلون في أمور الدنيا دون الآخرة، فما هي الفائدة من التعالي والتفاخر، غير إذكاء نار الحقد والكراهية، في نفوس الأطراف المنافخين؟! فالردود السيئة واحد في حالتي الهجاء والفخر، باعتبار أن الدافع إليهما هو نفسه الصراع على إثبات الوجود، فبعد أن ساوى الإسلام بين أبناء الملّة، ولا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى، وبما يقدم من الأعمال الصالحة، جاء أقوام من الشعراء فاصطنعوا

الفضائل لمن لا يستحق وفاخروا بأعجاد لم تتحقق، وإن صدق البعض في التعبير عن بعض القيم، فإن ذلك لا يقدم ولا يؤخر شيئاً في مستقبل الأمة. وهكذا فإن فخر الأخطل لا يخرج عن هذا الإطار، مع العلم بأنه لم يكن مبرراً في هذا المجال، وقد تفوق الفرزدق عليه وعلى جرير أيضاً. وأكثر أشعاره في الفخر كانت تأتي ضمن إطار شعره السياسي، أي متداخلة بالمدح والهجاء.

قال<sup>(١)</sup> يهجو القيسيين ويفتخر:

ألم تشكر لنا كلباً بأننا	جلّونا عن وجوههم الغبارا
كشفنا عنهم نزوات قيس	ومثل جموعنا منع الذمارا
وكانوا معشراً قد جاورونا	بمنزلة فأكرمنا الجوارا
فلما أن تحلّى الله منهم	أغاروا إذا رأوا منا افتارا
فعاقبناهم لكمال عشرين	ولم نجعل عقابهم ضمارا
وأطفأنا شهابهم جميعاً	وشبّ شهاب تغلب فاستنارا
فلما حيث حلّ المجد يوماً	حللناه وسرنا حيث سارا

إنه يفاخر كلباً بأنهم همهم عندما اعتدت عليهم قيس، فهو وقومه يحترمون الجوار، وغيرهم يفدر، وهم شجعان لا ينامون على الضيم يعاقبون أعداءهم ليسكتوهم تماماً، وتعلو رايات تغلب ويحلّ المجد في ربوعها.

وقال<sup>(٢)</sup> من قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان بعد ذكر الحبية:

(١) ديوانه: ١١٩.

(٢) ديوانه: ١١٠.

أعني أمير المؤمنين بنائيل  
وحسن عطاء، ليس بالريث النزر  
وأنت أمير المؤمنين، وما بنا  
إلى صلح قيس يا ابن مروان من فقر  
ولما تبيننا ضلالة مصعب  
فتحنا لأهل الشام باباً من النصر  
فأصبح ما بين العراق ومنبج  
لتغلب تردى بالردينية السمر  
إليك أمير المؤمنين نسيها  
تحب المطايا بالعرانين من بكر  
وكان مهد هذه الأبيات بهجاء القيسين وغيرهم من الأعداء،  
فذكر انتصار تغلب عليهم ومجاهم ثم تخلص ليطلب من عبد الملك  
المكافأة، مظهراً له بأن كل ما فعلته تغلب هو من أجل بني أمية، فهم  
ما زالوا يدافعون عنهم، ولا حاجة إلى السعي في الصلح، لأن الأمور  
استبقت في العراق والجزيرة لتغلب بالقوة، وإذا أذعنت قيس فليس  
ذلك عن رضى وود بل من الخوف.

فإن تك قيس يا ابن مروان بايعت  
فقد وهبت قيس إليك، من العذر

ولا بد من التذكير، مرة أخرى، بأن دينه لعب دوراً في فخره  
أيضاً، فليس هنالك من المآثر ما يستحق أن يتغنى به كالفرزدق الذي  
كان يعتد بجود أجداده وعظيم فعالهم، وكانوا أثرياء. بينما لم يكن  
الأخطل كذلك، ولم نر أنه فاخر على طريقة الفرزدق، بل انحصرت  
مفاخراته، بما خاضته تغلب من حروب، وما قدمته من توضيحات في

سبيل الأمويين. وقد قال<sup>(١)</sup> الأخطل مشيراً إلى شاعريته: «فَضَلْتُ  
الشعراء في المديح والهجاء والنسيب، بما لا يُلْحَق بي فيه». ولم يذكر  
الفخر، وقد ذكر أبياتاً في الفنون الثلاثة منها في المدح ما جاء في خَفِّ  
القطين: «الخائض الغمر...».

## الرثاء:

وهو صوت النّعي والتفجّع، والبكاء على الأموات، عُرف قديماً،  
حيث كان يستعر القتل، وعمليات الشار على قدم وساق، فينبري  
شعراء القبيلة ليزكروا خصال الميت أو القاتل الحميدة، فإن لم يكن له  
من المكارم على الحقيقة، فإنهم يصطنعونها ويلصقونها به إلصاقاً، تماماً  
كما هي الحال في المديح. وفي صدر الإسلام، سكّت الشعراء عن  
مثل ذلك، لإيمانهم بأن الإنسان لا يموت إلا بأجل مكتوب، ومن  
يقتل منهم في سبيل الله فهو شهيد ومأواه الجنة، فلماذا يكونه؟! وخير  
ما تمثّل به ما كان من أمر الخنساء في الجاهلية، إذ بكت أخاها صخراً  
بكاءً لم تبكه امرأة، وفي الإسلام قُتل أبناؤها في القادسية، ويُقال  
كانوا أربعة، فلم تبك واكتفت بحمد الله تعالى لأنه أكرمهم بالشهادة  
مما أثلج صدرها.

ويأتي العصر الأموي، فنرى أن الرثاء عاد إلى الظهور، كما عاد  
غيره من الفنون التي كانت ضعفت سابقاً. ولكنه لم يكن على شاكلة  
رثاء الجاهليين، من حيث الصخب والضجيج، وحرارة الانفعال،  
إلا ما نراه في مرثئي شعراء الشيعة والخوارج لقتلاهم، فكان هؤلاء

(١) الأغاني: ٢٩٧/٨.

يرونها مناسبة لإذكاء الحماسة في صدور جموعهم المؤيدة لهم للسير قُدماً  
في طريق الثورة ولو أدى إلى الموت!

أما الاخلط، فإنه رثى يزيد بن معاوية في أبيات أربعة، كما مدح  
أحد كرام تغلب ببيت واحد وذلك كل ما وقعنا عليه في ديوانه.  
قال<sup>(١)</sup> في رثاء يزيد:

لعمري، لقد دُلِّي إلى اللحدِ خالدُ  
جنازة لا كابي الزناد ولا عُمر<sup>(٢)</sup>  
مقيمٌ بحوَّارين ليس يرُمُّها  
سقته الغواذي من ثوي ومن قبر<sup>(٣)</sup>  
تصيح الموالى أن رأوا أمَّ خالدٍ  
مسلبَةً تبكي على الماجدِ الغمرِ  
إذا جاء سِرْبٌ من النساءِ يُعَدُّها  
تعرَّين إلا من جلابيب أو حُر<sup>(٤)</sup>  
وفي رثائه لأبي سمعان التغلبي يقول<sup>(٥)</sup>:

لتبكِ أبا سمعان أظاطة الضحى  
إلى الكرمِ مرزأمٍ رواءٍ جرارها<sup>(٦)</sup>

---

(١) ديوانه: ١٤٥.

(٢) خالد: هو ابن يزيد بن معاوية. كابي الزناد: لا تشتعل ناره. عُمر: مُهمل.

(٣) حوَّارين: بلدة قرب حمص مات فيها يزيد. يرُمُّ: يبارح. الغواذي: السحابات الصباحية الماطة. الثوي: المقيم.

(٤) الحُر: جمع الخمار: غطاء الرأس والوجه.

(٥) ديوانه: ١٩١.

(٦) أظاطة: نواحة. المرزأم: الناقة الحنون.

ولم يزد عليه، أو على الأقل هذا ما وصل إلينا من خلال ديوانه. ويبدو أنه لم يرث لضعف عاطفته، وخشونته وسفاهته، وهو إذ يرثي يزيد، لا يجد ما يقوله، ليعبر عن الفاجعة، فاجعة الموت وما تبعته من مشاعر الأسى والحزن على الفقيد، خصوصاً إذا كان فاضلاً، محبوباً، ذا منزلة في قومه ووسط أصدقائه، وكأني بالأخطل، كان يفقد مثل هذا الشعور ولا يجيد غير السب والشتم. ولهذا، فإن الأبيات الأربعة المذكورة هي أقرب إلى وصف مشهد الدفن والماتم، منها إلى الرثاء المعبر عن الأحاسيس الصادرة عن أعماق النفس المتألمة للواقعة، فمع هول الموقف لم يلفت انتباه الشاعر إلا منظر أم خالد ومواليها وهن يبكين، وعليهن جلابيهن وخمرهن!

وفي رثاء التغلبي، هو لا يبكي، بل يدعو «أطاطة الضحى»، إلى البكاء، والنواح، وكأن الميت لا يعنيه بشيء.

## الغزل:

فن التحدث إلى المرأة وعنها، وقد أجاده الجاهليون، فتغزلوا وأفحشوا أحياناً، وجعلوا ذلك في مقدمات قصائدهم نهجاً، لم يخرجوا عنه، فبكوا على الحبيبة وتألوا لفراقها، ووقفوا على أطلالها وخاطبوها عبر الأثير، ونتقل إلى العصر الإسلامي فيستمر الشعراء، على عادة الأقدمين في افتتاح قصائدهم بالمطالع الغزلية، ولكنهم ابتعدوا عن فاحش القول وكاذبه، وتقيد أكثرهم بالأوامر والنواهي الشرعية. أما في العصر الأموي فقد صار الغزل فناً شعرياً قائماً بذاته، ولم يعد فقط يشكل جزءاً من افتتاحية القصيدة، وانقسم



الغزل إلى ثيارين: ثُبار عذري عفيف ورائده جميل بثينة، وتُبار إباحي حضري ورائده عمر بن أبي ربيعة، الذي كان يعشق الجمال ويلاحقه، فيتغزل بكل حسناء يصادفها. وسار الشعراء على خطاه، وصاروا يسردون القصص والمغامرات العاطفية، ويعبرون عن أشواقهم وأمنياتهم، ويتحدثون عن صدّ الحبيب ووصاله، واقترن كل ذلك بالبيئة الأموية، التي ساهمت، وخصوصاً في المدن، بما وفّرت من ثراء وتحضّر وحرية في الاختلاط، شجعت على الغزل وازدهاره.

والأخطل، أخذ بطرف، مما أباحت هذه البيئة، فاستمتع بوقته، في معاورة الخمرة، وفي معاشرة النساء، وفي الملاحمة الأخرى. وعبر عن شغفه بالنساء، عن طريق النسب الذي أجاد فيه باعترافه كما أسلفنا<sup>(١)</sup>، وضرب مثلاً على تفوّقه في النسب فقال<sup>(٢)</sup>:

ألا يا اسلمي يا هندُ هندُ بني بدرٍ  
وإن كان حيّانا عدى آخر الدهر<sup>(٣)</sup>  
من الخفّرات البيضِ أمّا وشأحها  
فيجري وأمّا القلبُ منها فلا يجري<sup>(٤)</sup>

(١) الأغاني: ٢٩٧/٨.

(٢) الأغاني: ٢٩٧/٨.

(٣) بنو بدر: فرع من فزارة بن ذبيان من قيس عيلان.

(٤) في الديوان:

أسيلةٌ مجرى الدمعِ أمّا وشأحها فجارٍ وأمّا الحجلُ منها فما يجري  
والحجل: الخللخال. والقلب: السوار.

تموت ونحيا بالضجيج وتلتوي  
بمطرِد المتنين منبترِ الخصرِ

يذكر الحبيبة هنداً البدرية، ويدي إعجابه بياض بشرتها، ونحول  
خصرها وامتلاء ساقها، وهي تصاب بالإغماء عند المضاجعة وتلوى  
بجانبيها وخصرها الضامر، وفي ذلك ما يرضي ذوق الشاعر.

وإذا مرّ بمكان، كان يحلّ فيه، يتذكّر الحبيبة، فتمرّ صورتها في  
خياله كما يشتهيها فيعبرّ عما يدور في خاطره من شوق وهيام، ولا  
يستحي أن يصف مفاتن من يحب وصفاً دقيقاً كما فعل أعلاه،  
يقول<sup>(١)</sup> مثل ذلك في «أم هيثم»:

ألا طرقتنا ليلة أم هيثم  
بمنزلة تعتاد أرحلتنا فضلاً  
تروقك عيناهما، وأنت ترى لها  
على حيث يلتقي الزوج منبطحاً سهلاً<sup>(٢)</sup>  
إذا السابريُّ الحرُّ أخلصَ لونها  
تبيّنت لا جيداً قصيراً ولا عُطلاً<sup>(٣)</sup>  
إذا ما مئت تهتزُّ لا أحريةً  
ولا نصفُ تظنُّ من جسمها دخلاً<sup>(٤)</sup>

---

(١) ديوانه: ٢٩٦.

(٢) الزوج: الباط يطرح على أرض المودج.

(٣) السابريُّ الحرُّ: الثوب الرقيق الأبيض. أخلصَ لونها: أظهره واضحاً.  
العطل: بدون زينة.

(٤) أحرية: أعجمية. نصف: خادمة. الدخل: المرض.

يعبر عن اشتهااته الحبيبة، وكُنْها أم هيثم، وكان تعود أن يلقيها في ذلك المكان، على ما يبدو، ولا يلبث أن يتخيل نفسه ينظر إلى عينيها وهي منبطحة في الهودج وهي ترتدي الثياب الرقيقة الشفافة، تتألق بزيتها، ثم يتخيلها إذا مشت فتهتز أردافها لثقلها ذلك أنها عربية حرة وليست خادمة.

نحن إذاً، أمام مواصفات ومعايير أخرى جديدة يحددها الأخطل في المرأة التي تستهويه، وهي بمجملها لا تخرج عن المقاييس العامة في الحسن والجمال، والتي كانت سائدة في الجاهلية. وهو ينهر بسحر العينين، ولكنه لم يحدّد اللون الذي يروق له وما إذا كان يميل إلى العين الواسعة كغيره من الشعراء. كذلك نراه يفضل العربية الحرة على الأعجمية، والصحيحة الجسم ذات الردين على المريضة الهزيلة. ويلتقي في ذلك كله مع شعراء عصره، وسابقيه أيضاً.

ولطالما وقف على الأطلال، في مطالع قصائده، فبكى الأحبة، وتألّم للفراق وعلى نهج امرئ القيس قال<sup>(١)</sup>:

قفا يا صاحبي بنا ألما	على دمن نساثلها سؤالا
قفا زورا منازل أم عمرو	ورسماً بالمنازل قد أحالا
أهاضيّب الدجى من كل جؤن	سقاها بعد ساكنها سبجالا

هي بقايا أم عمرو إذاً، وقد غير معالمها المطر، وهي خالية ليس

(١) ديوانه: ٢٦٨.

فيها أنيس، وترابها قد نسجته الرياح وتلاعبت به، وذرت كالطحين  
مع مرور الزمن، لا يستطيع أن ينسى أم عمرو:

ليالي ما تزال من أم عمرو ترى في كل منزلة خيالاً  
يفجني بفرقتهم رجالاً أرادوا أن يزيدوني خيالاً

ويُفجع برحيلها ألا وهي، إذا قارنها بالظبية، أحسن منها مُقلّة  
وجيداً، وهي جميلة الوجه، ناعمة، أسنان بيضاء كالبرق تلمع،  
تفوح من فمها رائحة المسك، وريقها عذب كأنه ماء عذب خالط  
الخمرة.

فليست ظبية غراء ظلت	بأعلى تلمعة تُزجي غزالاً
بأحسن مُقلّة منها وجيداً	ووجهاً ناعماً كمي الجمالاً
جرى منها السواك على نقي	كأن البرق إذ ضحكت تلالاً <sup>(١)</sup>
كأن المسك عل بها ذكياً	وراحاً خالط العذب الزلالاً <sup>(٢)</sup>
إذا ما القلب والخلخال ضاقا	جرى منها وشاحاها فجلاً
تضم ثيابها كشحاً هضياً	وأردافاً إذا قامت ثقالاً <sup>(٣)</sup>
إذا قامت تنوء بمرججن	كدعص الرمل ينهال انيالاً <sup>(٤)</sup>

---

(١) السواك: عود الأراك يُستعمل لتنظيف الأسنان. النقي: الأسنان البيضاء.

(٢) الراح: الخمرة.

(٣) الكشح الهضيم: الحصر الضامر.

(٤) المرجحن: الأرداف المرتجة. دعص الرمل: ما اجتمع منه.

وأحسب أن الاخطل جمع في هذه الأبيات كل الصفات التي  
 يتعناها في الحبيبة، وهي نفسها الصفات التقليدية التي طالما تغنى بها  
 الشعراء من قبل. ولا يخفى بعد ذلك لوعته وشوقه ويتساءل عن  
 سبب بعدها أهو الدلال أم أنها القطيعة؟ فإن كان الدلال، فهو  
 يريد لها ولا يجيد عنها، لأنه يحبها وكاد ذلك الحب أن يورثه السل،  
 لأنه حبٌ عفيف على حد زعمه :

فإن يكن الدلال فأنت مني      يمين لا أريد بها شيئاً  
 ألم يك حُكم في غير فحشٍ      زماناً كاد يورثني سلالاً<sup>(١)</sup>؟

وننتقل إلى قصيدة أخرى في مدح الحجاج بن يوسف فاستهلها  
 كالعادة بالغزل:

صَرمْتُ حبالَكَ زينبُ وقذورُ      وجبالهن إذا عقدن غرورُ<sup>(٢)</sup>  
 يرمين بالحدقِ المِراضِ قلوبنا      فغروبهن مكلّفٌ مضرورُ  
 وزعمن أني قد ذهبتُ عن الصبي      ومضى لذلك أعصرُ ودهورُ

إنه كلفٌ بالنساء، وقلبه هائج، وهنٌ يصددن عنه، فيزداد تعلقاً  
 بهن، وما هو يعود إلى الإباحة مرةً أخرى فيقول<sup>(٣)</sup>:

(١) السلال: السل.

(٢) زينب وقذور: امرأتان.

(٣) ديوانه: ٩٦.

إذ بث أنزع عنها حليها عبثاً  
بعد اعتناقٍ وتقبيلٍ وتجريدٍ  
وقد سقتني رُضاباً غير ذي أسنٍ  
كالمسكِ دُرٌّ على ماءِ العنقايدِ

فلا يرى الشاعر ضيراً في أن يصرّح بما في نفسه وبما يفعله من  
مغامرات غرامية ولو خرج عن الحياء.

والخلاصة في غزل الأخطل، أنه أحسن في التعبير عن صفات  
الحسن والجمال عند المرأة فوصفها وصفاً حسياً ملدياً، لذلك غلب  
الجفاف على مقطوعاته الغزلية لضعف العاطفة عنده، فهو شديد  
التكلف في شعره، وإذا كان التكلف مقبولاً في المديح أو الفخر، فإنه  
يستقل في الغزل، لأن هذا الفن الصق بالوجدان، وينبغي أن يصدر  
عن إحساس حقيقي، عن انفعال لا افتعال وتصنع، لأنه لم يعش  
تجربة حب صادقة، فكلّ همّه أن يرقى بشعره إلى المستوى الذي نعرفه  
في شعر زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني، ولم يلتفت إلى الأثر  
السيء الذي قد يؤدي إليه تكلفه الغزل. وقد لا نخطئ إذا قلنا إن  
بداوته، وارتباطه بالماضي وعاداته ارتباطاً وثيقاً جعلاه فظاً غليظاً،  
خشن الطبع، لم تعرف نفسه الصفاء والنقاء، ولم يعرف الحب  
الحقيقي طريقاً إلى نفسه المشوشة، لنصرانيته ولتهتكه ولعصبتيته  
العمياء، على عكس جرير الذي هذب الإسلام نفسه ونقاها، فجاء  
غزله رقيقاً صادقاً نابعاً من الأعماق، معبراً عن انفعالات النفس  
وميوها وآلامها.

الخمرة، رفيقة الشاعر الجاهلي، فأكثرهم شربها وتغزل بها تغزله  
 بالمرأة، وأفاض في وصفها والتحدث عنها ومناجاتها، ونعتها بصفات  
 إنسانية أحياناً لشدة شغفهم بها، كما تناولوا أثرها في النفس ومفعولها  
 وأخذها بالعين وتحذير الأعضاء، والذهاب بالعقل. وكان الجاهليون  
 إذا افتتحوا القصيدة بالغزل، توسعوا بعد ذلك في الحديث عن  
 الخمرة، فكانت الخمرة والمرأة عندهم لا يفصلان، لسبب بسيط هو  
 لأنها كانا يمثلان فرح الجاهلي ورمز تمتعه بالحياة. وأشهر من وصف  
 الخمرة الأعشى الأكبر ميمون بن قيس. أما في صدر الإسلام، فقد  
 أحجم الشعراء عن وصف الخمرة لأنها حرمت فامتنعوا عن شربها أو  
 حتى ذكرها بما يزينها للنفس. ولكن ظهرت فئة، أصرت على ذلك  
 لفترة أيام العهد الراشدي لخلافة عمر بن الخطاب مثل الحطيثة  
 وعمر بن معد يكرب وأبي عرجن الثقفي. ثم نأى إلى العصر  
 الأموي، فنرى أن بعض الشعراء عادوا ليجاهروا بشرب الخمرة  
 وأمعنوا في وصفها، وعلى رأسهم الأخطل، الذي كان يشرب الخمرة  
 ويدخل على عبد الملك بن مروان كما أشرنا سابقاً، وكان الخلفاء  
 الأمويون يتغاضون عنه<sup>(١)</sup>، لأنه شاعرهم الأقوى، والذي لا يبالي في  
 شتم أعدائهم أيّاً كانوا. ومما يرويه<sup>(٢)</sup> صاحب الأغاني أنه دخل على  
 عبد الملك فاستنشدته فقال له: قد ييس حلقي فمر من يسقيني،  
 فعرض عليه الساقى الماء واللبن والعسل فامتنع عن ذلك كله وطلب  
 الخمرة من أمير المؤمنين، فغضب عبد الملك وقال: «أو عهدتني أسقي

(١) الأغاني: ٣٠٦/٨.

(٢) الأغاني: ٢٩٤/٨.

الخمر لا أم لك! لولا حُرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلتُ!»، فخرج  
 الأخطل ولم يعد حتى استسقى الخمرة، ثم عاد إلى مجلسه مع الخليفة  
 وأنشده «خفت القطلين». فطرب لها عبد الملك وأمر له بجوائز عظيمة  
 وأطلق عليه لقب «شاعر بني أمية».

وقال في الخمرة<sup>(١)</sup> بين يدي عبد الملك:

وكأسٍ مثل عين الديك صرف  
 تنبي الشاربين لها العقولا  
 إذا شرب الفقى منها ثلاثاً  
 بغير الماء حاول أن يطولا  
 مثنى قُرشية لا شك فيها  
 وأرخصى من مآزره الفضولا

وكانت هذه الأبيات تمهيداً للتعريض بزفر بن الحارث وللتحريض  
 ضده. وهو قد تعرض لأمرين في حديثه عن الخمرة، أولاً للونها  
 وصفائها فهي كعين الديك، ثانياً تحدث عن مفعولها خصوصاً إذا لم  
 تمزج بماء، فتذهب بالعقل، فيعيش شاربها في عالم آخر بعيداً عن  
 الواقع. ونظراً لأهمية الخمرة عنده، ولشدة تعلقه بها، ادعى أنها هي  
 التي تمنعه عن الدخول في الإسلام، لأن الإسلام يجرّمها فهاذا  
 يصنع!؟<sup>(٢)</sup> ليس غريباً بعد ذلك أن يكثر من ذكرها وأن يتغزل بها،

(١) الأغاني: ٢٩٦/٨.

(٢) الأغاني: ٢٩٠/٨.



ويساوي بين مفعولها وبين تأثير النساء، قال<sup>(١)</sup> يبكي الحبيبة:

فلو كان مبكى ساعة لبكىتها  
ولكن شر الغانيات طويل  
ظلت كأي شارب أزلية  
ركود الحميا في العظام شمول<sup>(٢)</sup>

فكما أن الخمرة، إذا شربها، تتمشى في عظامه وتأخذ بوعيه كذلك  
تركته الحبيبة إذ هجرته وارتحلت، فكيف يداوي ما فعلت في نفسه؟  
ويخاطب لائمه على شرب الخمرة قائلا<sup>(٣)</sup>:

ألا تلوميني على الخمر عاذلاً  
ولا تهلكيني إن في الدهر قاتلاً  
فربي فإن الخمر من لذة الفتي  
ولو كنت موعولاً علي وواعلاً<sup>(٤)</sup>  
وأي لشارب الخمر معدل  
إذا هرت الكأس الرخام التنايلاً<sup>(٥)</sup>

---

(١) ديوانه: ٢٩٨.

(٢) أزلية: أراد الخمرة المعتقة، والأزلي عند أهل العلم والنظر هو الله تعالى ولا يوصف بالأزلية غيره وهي بمعنى: أن لا بداية لوجوده. الشمول: الخمرة التي تأخذ برأس شاربيها.

(٣) ديوانه: ٢٩٩.

(٤) الموعول: الذي يدخل عليه الناس وهو يشرب، والواعل عكسه.

(٥) معدل: مستقيم. الرخام: جمع رخيم: لين. تنايل: جمع تنبال: ساكن.

هي لذة لا تعاد لها لذة، ولا تحل محلها متعة، وهي إذا أخذت بعقله، فإنها لا تمنعه من القيام بأعمال عظيمة، وقول شديد الكلام:

أخو الحرب ثبت القول في كل موطن  
إذا جشأت نفس العبي المحافلا<sup>(١)</sup>  
وتناول في هذه الأبيات الخمرة من جميع جوانبها فذكر لونها وأثرها ودنانها وكذلك الندامى والجلساء فقال:

وشارب مُربح بالكأس نادمني  
لا بالخُصُور ولا فيها بسوَار<sup>(٢)</sup>  
من خمر عانة ينصاع الفرات لها  
بجدول صخب الأذي مرار<sup>(٣)</sup>  
وهي خمرة معتقة، قد ختمت برداء من الليف والقار، ثم نسجت عليها العنكبوت، وفي ذلك دليل كاف على قدمها وجودتها:

لها رداءان: نسج العنكبوت وقد  
حُفَّتْ بآخر من ليف ومن قار  
ويأتي إلى اللون، فهي صهباء، هكذا كان يفضلها، كما كان أسلافه كالأعشى وطرفة يقول:

صهباء قد كَلِفْتُ من طول ما حُبِسَتْ  
في مُخَدَعٍ بين جنات وأنهار<sup>(٤)</sup>

---

(١) جشأت: أخرجت صوتاً من البطن. العبي: المتعب.

(٢) مريح: ينفق على الخمر دون حساب. الخصور: البخيل. سوَار: معرب.

(٣) عانة: موضع على نهر الفرات. الأذي: الموج. المرار: السريع.

(٤) الصهباء: الخمرة المعصورة من العنب شقراء اللون، كلفت: خالطها سواد.

تدمى إذا طعنوا فيها بجائفة  
 فوق الزجاج عتيق غير مُسطار<sup>(١)</sup>  
 كأنما المسك نُهى بين أرحلنا  
 مما تَضَوُّع من ناجودها الجاري<sup>(٢)</sup>  
 وفي الأبيات التالية يَصوِّر تأثيرها أيما تصوير، فيصف حال من ناله  
 السكر فبات يمشي متهايلاً فلا تقوى مفاصله وعظامه على حمله،  
 قال<sup>(٣)</sup>:

صريعٌ مدام يرفعُ الشربُ رأسه  
 ليحيا، وقد ماتت عظام ومفصل<sup>(٤)</sup>  
 نهديه أحيانا، وحيناً نجره  
 وما كاد إلا بالحشاشة يعقل<sup>(٥)</sup>  
 إذا رفعوا عظماً تحامل صدره  
 وآخر، مما نال منها مخبل<sup>(٦)</sup>

ثم يتابع، بعد أن بين أثرها في العقل والعظام والمفاصل، ليبرر  
 شربها، وكان أقسم أن يمتنع عنها ولكنه رأى منها ما يغريه فعاد عن  
 قسمه خصوصاً وأنها خمرة آتية من فلسطين، فنادى:

- 
- (١) جائفة: طعنة تصل إلى الجوف. عتيق: خمرة عتيقة. مسطار: خمرة حديثة.  
 (٢) نُهى: منتشر. الناجود: أول ما يخرج من الخمرة.  
 (٣) ديوانه: ٢٢٣.  
 (٤) المدام: الخمرة المعتقة.  
 (٥) الحشاشة: ما بقي من الروح.  
 (٦) مخبل: فاقد الوعي.

فقلت: اصبحوني لا ابالابكم  
وما وضعوا الأثقال إلا ليفعلوا<sup>(١)</sup>  
شربت ولاقاني لحلّ اليتي  
قطار تروى من فلسطين مُثقل<sup>(٢)</sup>  
فلذت المرناح، وطابت لشارب  
وراجعي منها مراح وأخيل<sup>(٣)</sup>  
إذا، شربه للخمرة يبعث فيه السرور والنشاط، والخلاء والزهو،  
وهي ليست خمرة عادية إنما معتقة تتألق كأنها شعلة، وهي تدب في  
العظام، كما يدب النمل في كتيب من الرمل، فيشعر حيالها المرء  
بارتحاء يترافق مع نشوة، ولكن الشاعر يستدرك أنها عيفة قوية  
فيطلب التقليل من فاعليتها بقتلها أي بمزجها مع الماء:

فقلت اقتلوها عنكم بمزاجها  
فأطيب بها مقتولة، حين تُقتل

ومأ يدل على تهتكه ووقاحته وشغفه بالخمرة، ما قاله<sup>(٤)</sup> عندما  
عرض عليه أن يسلم:

ولست بصائم رمضان طوعاً  
ولست بقائم أبداً أنادي  
ولكني سأثر بها شمولاً  
ولست بأكل لحم الأضاحي  
كمثل البعير، حي على الفلاح  
وأسجد عند منبلج الصباح

(١) اصبحوني: اسقوني خمرة الصباح.

(٢) آية: يمين. القطار: قافلة الإبل.

(٣) المراح: السرور. الأخيل: الذي يتخايل.

(٤) ديوانه: ٧٢.

وأخيراً، فإن الأخطل قد تفوّق في وصف الخمرة على أقرانه، وخصوصاً على صاحبيه جرير والفرزدق، ولذلك أسبابه منها: كونه نصرانياً لم يجد ما يمنعه من الشرب والوصف، والعكس فيما يتعلق بصاحبيه فإن الإسلام قد ضيق عليهما، فلم يُقبلا على الخمرة ولم يذكرهما، ولا ينسحب هذا الكلام على كل الشعراء المسلمين، فبعضهم حذا حذو الأخطل كابن أَرطاة<sup>(١)</sup>. والسبب الثاني في تفوّق الأخطل هو حُبُّه للخمرة، فإنه كان يعشقها عشقاً لم يسبقه إليه إلا الأعشى، لذلك، قلّده في وصفها. ولو تتبعنا نقاط التشابه لوجدناها كثيرة من ذلك معنى الديبب والتمثي في العظام أخذه من قول<sup>(٢)</sup> الأعشى:

تدبُّ لها فترةً في العظام      وتُغشي الذؤابة فوارها<sup>(٣)</sup>

ومعنى الصفاء، الذي عبّر عنه بتشبيهه الخمرة والكأس بعين الديك سبقه إليه الأعشى أيضاً<sup>(٤)</sup>:

كميتٌ يرى دون قعر الإناء      كمثل قذى العين، يُقذى بها  
ولا يخفى أنه كان يربط الخمرة بمجالس الأنس، فيذكر الندمان، ويصف الأدوات والدنان والساقى أو الساقية، فضلاً عن أثرها وما تحدثه من النشوة والفرح في عقل شاربيها.  
ومن حيث أسلوبه، فإنه لم يخرج عن نهجه في اختيار ألفاظه،

(١) الأغاني: ٢٤٢/٢.

(٢) ديوانه: ٣١٩.

(٣) الذؤابة: مقدم شعر الرأس.

(٤) ديوانه: ١٧٣.

وتوقعها في مواقعها مع الحفاظ على الرصانة والنغم الموسيقي والخفة التي تقتضيها المناسبة، فلم يتكلف للخمرة تكلفه للمدح أو الفخر أو حتى الغزل. ويسجل هنا بُعدُه عن التصنع لأن الموضوع قريب إلى الشاعر، لذلك نلاحظ صدقاً في ما يقول، فليس ثمة ما يدفعه لأن يتكلف ما ليس يحسّ به في هذا المجال، لعلنا بما في نفسه من شوق وحب للخمرة. وإذا كان الأخطل قد أخذ عن الأعشى، فإنه ترك هو الآخر أثره في الذين جاؤوا من بعده، ومن يطالع خمريات أبي نواس يلحظ ذلك عن كثب.

### الوصف:

وهو فن الكشف والتصوير الكلامي، ونقل دقائق المشاهد المرئية والمتخيلة، ويتداخل الوصف في الفنون الأخرى، فإذا امتدح الشاعر وصف، وإذا تغزل وصف، وهكذا فعلاقته بغيره من الفنون قوية، بحيث إنه لم يُعرف كفنٌ مستقلٌ إلا في العصر العباسي، بينما كان في الجاهلية وفي صدر الإسلام، وكذلك في عصر بني أمية يشكّل جزءاً عارضاً من قصيدة كبرى، ومن أهم ما تناوله القدامى وصف الخيل والسيف والأسد والناقة والحرب وما يتصل بحياة الشاعر بشكل مُلح، وللأخطل في وصف خيل التغلبيين مقطوعة رائعة قلّ مثلها قال<sup>(١)</sup>:

من كلِّ مجتنبٍ شديدٍ أمره  
سليس القيادِ تخاله غتالاً<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه: ٢٤٧.

(٢) مجتنب: فرس شرس. أمره: خلقه.

ومرّة أثرُ السلاح بنحرها  
فكأن فوق لبائها جريالاً<sup>(١)</sup>  
قُبُّ البُطُونِ قد انطوين من السرى  
وطراذهن إذا لقين قتالاً<sup>(٢)</sup>  
مُلَحّ المتون، كأنما البَسْتَهَا  
بالماء إذ يبس النضيجُ جلالاً<sup>(٣)</sup>

حاول الأخطل أن ينوّه ببطولات بني تغلب، فبعد أن مدحهم وفاخر بحسن صنيعهم في الحرب، لم يفته أن يذكر ما كان لخيولهم من دور، لما تتمتع به من المزايا الكريمة، هي خيول قوية، شرسة تنقاد لأصحابها وفرسانها، ضامرة البطن، تتحمل المشقات، تمشي المسافات الطوال ولا تشكو، وفي الحرب تنصب عرقاً من الجهد والتعب، فإذا يبس ذلك الماء، تحسب أن عليها جلالاً لما تراكم على ظهورها من الغبار، كناية عن مجالذتها وقوة احتمالها ومطاوعتها للمقاتلين على ظهورها.

وقال<sup>(٤)</sup> في الشيب والشباب:

قد كنّ يعهدن مني مضحكاً حسناً  
ومفريقاً حسرت عنه العناقيد<sup>(٥)</sup>

(١) المرّة: الخيول السهلة الركوب. اللبان: الصدر. الجريال: صباغ أحمر.

(٢) قب البطون: ضمّر. الطراد: المطاردة.

(٣) النضيج: العرق.

(٤) ديوانه: ٧٨.

(٥) المضحك: الثغر الباسم. العناقيد: صفائر الشعر.

يقلن لا أنت بعملٍ يستفادُ له  
 ولا الشبابُ الذي قد فات مردودُ  
 هل للشبابِ الذي قد فات مردودُ  
 أم هل دواءُ يرُدُّ الشيبَ موجودُ  
 لن يرجع الشيبُ شبَّاناً، ولن يجدوا  
 عدلَ الشبابِ لهم، ما أورق العودُ  
 إن الشبابَ لمحمودُ بشائسته  
 والشيبُ مُنصرفٌ عنه ومصدود  
 يقارن بين أيام الصبا والشباب، وما تحمله من روعة ومرح،  
 وبشاشة، بينما إذا بلغ الإنسان المشيب، تصدَّ عنه الحسان ولا يجد  
 إليهن سبيلاً، فثان ما بين الحالين، لذلك نراه يشتهي لو يجد دواءً  
 يعيد إليه شبابه.

أما الناقة فقد أكثر من وصفها، لأن ذلك تقتضيه طريقته في افتتاح  
 القصائد وتدرُّجه من الغزل إلى وصف الرحلة وبالتالي ذكر الناقة ألا  
 وهي وسيلة النقل. يقول<sup>(١)</sup> في قصيدة مدح فيها خالد بن عبد الله بن  
 أسيد:

ترى العرميس الوجناء يضرب حاذها  
 ضئيلٌ كفرُوج الدجاجة معجلُ<sup>(٢)</sup>  
 وقد ضمرتُ حتى كأن عيونها  
 بقايا قِلاتٍ أو ركيٍّ ممكُلُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه: ٢٢٧.

(٢) العرميس الوجناء: الناقة القوية. الحاذ: الجانب. الضئيل: الخفي.  
 المعجل: الناقة تلد قبل الأوان.

(٣) القِلات: ثقب في الجبال تجتمع فيها الماء. ركيٍّ ممكُل: بئر قليلة الماء.



وغارت عيون العيسر والتفت العُرى  
فهنّ، من الضراء والجهد نُحِلْ  
وصارت بقاياها إلى كل حُرّة  
لها بعد إسادٍ مِراحٍ وأفكل<sup>(١)</sup>

إن الرحلة التي تقوم بها هذه النياق شاقّة للغاية مما جعل  
الشديدات منهنّ تضع حملها قبل أوانه، وقد أصابها الهزال والضعف  
لما بذلت من جهد.

### خصائصه العامة ومكانته:

لقد تفوق الأخطل على شعراء عصره في المدح خصوصاً، لأنه كان  
يستمد معانيه من العناصر القديمة، والبدوية، وكان يحيط إحاطة تامة  
بالوقائع والظروف السياسية في عصره، وانعكاسات الأحداث  
القبلية، فاستغل كل ذلك ليمدح بني أميّة فأرضى أذواقهم ونال  
أعطياتهم، وهو وإن ضيق عليه كفره، فلم يكن بعيداً عن المفاهيم  
الإسلامية السائدة، فإنّه وعى الكثير منها ووصف عبد الملك وغيره  
بأنه إمام وخليفة، وأمير المؤمنين، وغير ذلك من صفات هيأتها البيئة  
الدينية الجديدة، ولم يمدحه بالتقوى والخوف من الله وقراءة القرآن  
وقيام الليل مثلاً، فمثل ذلك كان بعيداً عن ذهنية الأخطل لبعده عن  
الإسلام من جهة ولإدراكه أن الأمويين أرادوا منه تهشيم الأعداء  
بالدرجة الأولى وقد فعل، ثم أن يدعو إلى تأييدهم، وقد أشاد  
بخلافتهم وزعم أن حقهم حق إلهي لا يُنازعون فيه، واستحضر لهم  
من الصفات والفضائل بما يليق بخليفة، ولذلك استخفّ الطرب عبد

---

(١) الحرة: النياقة الكريمة. الإساد: السير طيلة الليل. مِراح: نشاط. أفكل:  
مرتعدة.

الملك بن مروان عند سماعه «خف القطين» واعتبرها «الزامرة» وأمر بتنصيب الأخطل شاعر بني أمية بل هو بنظره «أشعر العرب» وشاعر أمير المؤمنين كما يتّنا.

إذاً كان الأخطل يلجأ إلى القديم بكل ما فيه من المعاني المدحية، مما جعل النقاد يقولون<sup>(١)</sup>: إنه أشبه الثلاثة بالجاهلية. وجرير قال: «لقد أعنتُ عليه بكفرٍ وكبرٍ سنٍّ، وما رأيته إلا وخشيت أن يبتلعني»<sup>(٢)</sup>.

ولا يختلف في هجائه كثيراً عن المديح، من حيث اعتماده على القديم، ولكن بعض النقاد يقدّمون<sup>(٣)</sup> عليه جريراً، ولكن الدكتور شوقي ضيف يستدرك فيقول<sup>(٤)</sup>: «حقاً هو والأخطل كانا فرسي رهان، وكان يتفوّق منهما في العادة من يكون صاحب النقيضة الأولى، لأنه حرٌّ ولا يتقيّد بمعانٍ خاصة ولا بأوزانٍ وقوافٍ خاصة»..

ويتميّز هجاؤه بالاعتدال، أي هو لم ينهش في الأعراض، ولم يفحش، بل اكتفى بذكر النقائص والعيوب في مهجوه، بالمنظار التقليدي، وتنقصهم بالبخل والجبن والدناءة، والتقصير عن المكارم عموماً، لذلك يرى الدكتور شوقي ضيف أن جريراً تفوّق على صاحبيه لأنه كان «ينصب انصباباً على خصمه، يريد أن يطعنه الطعنة المصمية»، وعندما يتحدث عن الأخطل والفرزدق يقول<sup>(٥)</sup>: «ومن هنا كانا لا يعمدان إلى السبِّ والقذف على نحو ما يعمد جرير، فهما

(١) الأغاني: ٢٩٢/٨. والقول لأبي عبيدة.

(٢) الأغاني: ٢٩٩/٨.

(٣) التطور والتجديد في الشعر الأموي: ٢٠٩.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٩.

(٥) التطور والتجديد في الشعر الأموي: ٢٠٩.

يحتشمان»، وهذا يذكرنا بعبارة الأخطل عن نفسه حيث قال<sup>(١)</sup>: «ما هجوت أحداً قط بما تستحي العذراء أن تشده أباهاء». وقال بأنه تفوق على أقرانه في المديح والهجاء والنسيب، وذكر أبياتاً في كل فن، وما قاله في الهجاء<sup>(٢)</sup>:

وكنْتُ إذا لقيتَ عبيدَ تيمٍ      وتيماً قلتَ أيهم العبيدُ  
لثيمُ العالمين يسودُ نبيماً      وسيدهم وإن كرهوا مسودُ  
فقال ناقل الخبر: وصدق لعمرى، لقد فضّلهم.

وكان الأخطل يقدم<sup>(٣)</sup> الأعشى على نفسه ويعتبره أشعر الناس ويقول عنه: «كان إذا مدح رفع، وإذا هجا وضع»، ثم يضع بعده ابن العشرين ويقصد طرفة، وينزل نفسه في المرتبة الثالثة. وقد فضّله يونس بن حبيب النحوي على غيره وقال<sup>(٤)</sup>: «أجمعت العلماء على الأخطل»، وذلك لأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياذ ليس فيها فحش ولا سقط. وقال<sup>(٥)</sup> أبو عبيدة: «الأخطل أشبه بالجاهلية وأشدّهم أسر شعر، وأقلّهم سقطاً». وشبّهه بالنابغة «لصحة شعره». وعن الفرزدق أنه قال<sup>(٦)</sup>: «الأخطل أمدح العرب».

وهكذا، تتباين الآراء، فمن قائل بأن الأخطل أشعر العرب، إلى

(١) الأغاني: ٣٠٠/٨.

(٢) الأغاني: ٢٩٨/٨.

(٣) الأغاني: ٢٩٣/٨.

(٤) الأغاني: ٢٩١/٨. وقصد بالعلماء: ابن أبي إسحاق، وأبو عمر بن العلاء، وعيسى بن عمر، وعنبة الفيل، وميمون الأقرن.

(٥) الأغاني: ٢٩٢/٨.

(٦) الأغاني: ٢٨٦/٨.

قائل بأنه أمدح العرب، إلى مَنْ يقدّمون عليه جريراً أو الفرزدق،  
الأول في الهجاء والثاني في الفخر، يبقى أن نقول بأن للأخطل مكانة  
لا ينكرها عليه منكر. ومع كل مهارته، فإنه كان يسقط أحياناً، من  
ذلك أنه مدح سيّاكاً الأسدي من بني عمرو بن أسد، وكانوا يلقّبونه  
القيون، فمدحه قائلاً<sup>(١)</sup>:

نعم المجير سيّاك من بني أسد  
بالقاع إذ قتلت حيرانها مضر  
قد كنت أحسبه قيناً واختبره  
فاليوم طير عن أثوابه الشر  
إن سيّاكاً بنى مجدداً لاسرته  
حتى المسات وفعل الخير يُبتدر  
فقال سيّاك: يا أخطل، أردت مدحي فهجوتني، كان الناس  
يقولون قولاً فحقّقته.

أما ما أجمع عليه أهل النقد والأدب، فهو كون الشاعر جزل  
الالفاظ، قوي الأسلوب، رصين، لا يرضى عن شعر يقوله إلا بعد  
تخيله وتنقيحه، فهو على منهج المدرسة الأوسية في الشعر، وتأثر  
خصوصاً بالناطقة الذبياني، ليس فقط ببعض صوره ومعانيه بل في ما  
يتعلّق بالتنقيح أيضاً.

وعن الأصمعي: «إن الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها  
ثلاثين فيطيرها»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) الأغاني: ٣١٢/٨.

(٢) الأغاني: ٢٨٤/٨. يطيرها: يذيعها.



## الخاتمة

تناولت في هذا الكتاب الأخطل وعصره، ولما كان العصر الأموي عصرًا تضاربت فيه الأهواء، وكثرت فيه الأحزاب، فإن الشعراء كانوا الصوت المعبر عن مختلف الشؤون، فارتفع صوت الأخطل وجلّى، فقرّبه بنو أمية لما رأوا فيه من صفات تؤهله أن يكون ناطقاً باسمهم، مدافعاً عنهم، هاجياً لأخصامهم. فنهض بما انتدب إليه واحتلّ المكانة العالية عند الحكام وحظي بالأموال الجزيلة، وقدم لقبيلته خدمات كبيرة، فدافع عن مصالحها وفاخر بأعمالها تجاه البيت الأموي ليبقي على تميّزها عن غيرها، وبذلك عاش حياته في خدمة مصالح الحزب الأموي الحاكم من جهة وفي خدمة مصالح قبيلته تغلب من جهة أخرى.

والحمد لله رب العالمين



## مختارات





## خَفَّ القَطِين

في مدح عبد الملك بن مروان  
البحر البسيط

زعم الأخطل أنه أفنى في نظم هذه القصيدة حولاً وما بلغ كل ما  
أراد.

الأغاني الجزء السابع صفحة ١٦٤

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أَوْ بَكروا  
وَأَزَعَجَتْهُمْ نَوَى في صَرْفِهَا غَيْرٌ<sup>(١)</sup>  
كَأَنِّي شَارِبٌ، يَوْمَ اسْتَبَدَّ بِهِمْ  
مِنْ قَرْقَفٍ ضَمِنَتْهَا جِمَصٌ أَوْ جَنْزُرٌ<sup>(٢)</sup>  
جَلَدَتْ بِهَا مِنْ ذَوَاتِ القَارِ مُتْرَعَةٌ  
كَتَفَاءُ يَنْحَتُ عَنْ خُرْطُومِهَا الْمَدْرُ<sup>(٣)</sup>  
لَدُ أَصَابَتْ مُحْيَاها مَقَاتِلُهُ  
فَلَمْ تَكُذْ تَنْجَلِي عَنْ قَلْبِهِ الخَمَرُ<sup>(٤)</sup>

---

(١) القطين: السكان. النوى: البعد. الصرف: التغير.

(٢) قرقف: خرة. جدر: قرية معروفة بالخمرة.

(٣) ذوات القار: الخواوي. . مترعة: ملانة. الخرطوم: فتحة الخاية. المدر:  
العين.

(٤) الحميا: الحنة.

كأني ذاك، أو ذلوعه خبَلت  
أوصالهُ أو أصابت قلبهُ الشُّرُّ<sup>(١)</sup>  
شوقاً إليهم، ووجداً يوم أتبعهم  
طُرُفي، ومنهم بجنبي كوكب زمر<sup>(٢)</sup>  
حشوا المطي، فولّتنا مناكبها  
وفي الخدور إذا باغمتها الصُّور<sup>(٣)</sup>  
يبرقن بالقوم حتى يختبِلنهم  
ورأيهن ضعیف، حين يختبر<sup>(٤)</sup>  
يا قاتل الله وصل الغانيات، إذا  
أيقن أنك بمن قد زها الكبر<sup>(٥)</sup>  
أعرضن، لما حتى قومي مؤثرها  
وابيض، بعد سواد اللمة الشعر<sup>(٦)</sup>  
ما يرعوين إلى داعٍ لحاجته  
ولا لمن إلى ذي شئبة وطر<sup>(٧)</sup>  
شرقن إذ عصر العيدان بارحها  
وأيست غير مجرى السنة الخضر<sup>(٨)</sup>

(١) خبلت: اضطربت.

(٢) كوكب: راية بالخابور. زمر: جماعات.

(٣) خدور: مخاض.

(٤) يبرقن: يلحن.

(٥) زها الكبر: لاح الشيب.

(٦) حتى قومي: حتى ظهري. اللمة: شعر تحت الأذن.

(٧) ما يرعوين: لا يخفن. الوطر: الغرض.

(٨) عصر العيدان: يست. بارح: ربح بارد.

فَالْعَيْنُ عَانِيَةً بِالماءِ تَسْفَحُهُ  
 مِنْ نَيْتَةٍ فِي تِلَاقِي أَهْلِهَا ضَرَرٌ<sup>(١)</sup>  
 مُنْقَضِبِينَ انْقِضَابَ الحَبْلِ، يَتَّبِعُهُمْ  
 مِنَ الشَّقِيقِ وَعَيْنُ الْقَسَمِ الوَطَرُ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى هَبَطْنَ مِنَ الوَادِي لِقَضَبَتِهِ  
 أَرْضاً تُحُلُّ بِهَا شَيْبَانُ أَوْ غَيْرُ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى إِذَا هُنَّ وَرُكْنَ الْقَضِيمَ وَقَدْ  
 اشْرَقْنَ، أَوْ قُلْنَ هَذَا الخَنْدِقُ الخَفَرُ<sup>(٤)</sup>  
 وَقَعْنَ، أَضْلاً وَعُجْناً مِنْ نَجَائِنَا  
 وَقَدْ تُحَيِّنُ مِنْ ذِي حَاجَةٍ سَفَرُ  
 إِلَى أَمْرٍ؛ لَا تُعَدِّدُنَا نَوَافِلُهُ  
 أَظْفَرَهُ اللَّهُ، فَلَيْهِنَا لَهُ الظَّفَرُ  
 الخَائِضِ الغَمْرِ وَالْيَمُونِ طَائِرُهُ  
 خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ المَطَرُ  
 وَالْهَمُّ بَعْدَ نَجْيِ النَّفْسِ يَبْعَثُهُ  
 بِالْحَزْمِ، وَالْأَصْمَعَانِ القَلْبُ وَالْخَذَرُ<sup>(٥)</sup>  
 وَالسَّتَمِيرُ بِهِ أَمْرُ الْجَمِيعِ، فَمَا  
 يَفْتَرُهُ بَعْدَ تَوْكِيدِ لَهُ، غَرَرُ

(١) عين عانية: مصابة بكثرة دموعها.

(٢) منقضبون: مقطعو الأوصال.

(٣) غضة الوادي: سفحه.

(٤) القضييم: موضع.

(٥) الأصمعان: الذكيان.

وما الفُراتُ إذا جاشت حَوالبُهُ  
في حافَتَيْهِ وفي أَوْساطِهِ العُشُرُ  
وَدَغْدَغَتُهُ رِيحُ الصُّيفِ واضطربتْ  
فَوْقَ الجَاجِيءِ مِنْ أَذْيِهِ عُذُرُ<sup>(١)</sup>  
مُسْحَنَفَرٌ مِنْ جبالِ الرُّومِ يَنْتُرُهُ  
مِنْهَا أَكافِفٌ فِيهَا دُونُهُ زُورُ<sup>(٢)</sup>  
يَوْمًا، بِاجْوَدَ مِنْهُ، حِينَ تَسْأَلُهُ  
وَلَا بِاجْهَرَ مِنْهُ، حِينَ يُجْتَهِرُ  
وَلَمْ يَزَلْ بِكَ وَاشِيَهُمْ وَمَكْرَهُمْ  
حَتَّى أَشَاطُوا بِغَيْبِ لَحْمٍ مَنْ يَرَوُ<sup>(٣)</sup>  
فَلَمْ يَكُنْ طَاوِيأَ عَنَّا نَصِيحَتُهُ  
وَفِي يَدَيْهِ بَدُنِيَا دُونَنَا خَصَرُ  
فَهُوَ فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا  
أَبْدَى النُّوَاجِذَ يَوْمَ بَابِلَ ذَكَرُ  
مُفْتَرِشٍ كَافْتَرِشِ اللَّيْلِ كُلُّكَلُهُ  
لِوَقْعَةٍ كَاتِنٍ فِيهَا لَهُ جَزَرُ<sup>(٤)</sup>  
مُقَدِّمًا مَائِيَّ أَلْفٍ لِنَزْلِهِ  
مَا إِنْ رَأَى مِثْلَهُمْ جُنْ وَلَا بَشَرُ

- 
- (١) الجاجيء: جمع الجوجؤ: الصدر. الأذي: الموج.  
(٢) مسحنفر: سريع. أكافيف: جوانب الجبل. زور: ميل.  
(٣) أشاطوا: ابتعدوا. يَرَوُ: جزأوا اللحم.  
(٤) الكلكل: مقدم الصدر. الجزر: القتل.

يَغْشَى الْقَنَاطِرَ يَبْنِيهَا وَيَهْدِمُهَا  
مُسَوِّمٌ، فَوْقَهُ الرِّيَاضُ وَالْقَتَرُ<sup>(١)</sup>  
حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ بِالطُّفِّ مَلْحَمَةٌ  
وَبِالْثَوْبَةِ لَمْ يُنْبَضْ بِهَا وَتَرُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَسْتَبِينَ لَأَقْوَامٍ ضَلَّاتُهُمْ  
وَيَسْتَقِيمُ الَّذِي فِي خَدِّهِ صَعْرُ<sup>(٣)</sup>  
ثُمَّ اسْتَقْلَ بِأَثْقَالِ الْعِرَاقِ، وَقَدْ  
كَانَتْ لَهُ نِقْمَةٌ فِيهِمْ وَمُدْخَرُ  
فِي نَبْعَةٍ مِنْ قَرِيشٍ يَغْصِبُونَ بِهَا  
مَا إِنْ يَوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ<sup>(٤)</sup>  
تَغْلُو الْهَضَابَ، وَحَلُّوا فِي أُرُومِهَا  
أَهْلُ الرِّيَاءِ وَأَهْلُ الْفَخْرِ، إِنْ فَخَرُوا<sup>(٥)</sup>  
حُشِدَ عَلَى الْحَقِّ عَيَافُو الْخَنَى أَنْفُ  
إِذَا أَلَّتْ بِهِمْ مَكْرُومَةٌ، صَبَرُوا<sup>(٦)</sup>  
وَإِنْ نَدَجَتْ عَلَى الْأَفَاقِ مُظْلِمَةٌ  
كَانَ لَهُمْ تَخْرُجُ مِنْهَا وَمُعْتَصِرُ  
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يُنْصَرُونَ بِهِ  
لَا جَدُّ إِلَّا صَغِيرٌ، بَعْدُ، مَحْتَقَرُ<sup>(٧)</sup>

(١) يغشى: يبنى. مسوم: ذو علامات. قتر: غبار.

(٢) الطف: موضع قتل فيه الحسين بن علي. الثوب: مكان قرب الكوفة.

(٣) الصعر: الميل.

(٤) النبع: أصل الشجرة الطيبة.

(٥) أهل الرياء: أهل المعروف.

(٦) عيافون: تاركون. الخنى: الفحش.

(٧) الجد: الحظ.

لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ  
وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ، أَشْرُوا<sup>(١)</sup>  
شُمُسُ الْعَدَاوَةِ، حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ  
وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا، إِذَا قَدَرُوا  
لَا يَسْتَقِيلُ ذُوو الْأَضْغَانِ حَزْبَهُمْ  
وَلَا يُبَيِّنُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْزُ<sup>(٢)</sup>  
هُمْ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَّاحَ، إِذَا  
قُلُ الطُّعْمَامِ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا<sup>(٣)</sup>  
بَنِي أُمَيَّةَ، نَعْمَاكُمْ مُجَلَّلَةٌ  
تَمَّتْ فَلَا مَنَّةَ فِيهَا وَلَا كُدْرُ  
بَنِي أُمَيَّةَ، قَدْ نَاضَلْتُ دُونَكُمْ  
أَبْنَاءَ قَوْمٍ، هُمْ آوُوا وَهُمْ نَصَرُوا  
أَفَحَمْتُ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَّارِ قَدْ عَلِمْتُ  
عُلْيَا مَعَدٍّ، وَكَانُوا طَالِمًا هَدَرُوا  
حَتَّى اسْتَكَانُوا: وَهُمْ مَنِي عَلَى مَضَضٍ  
وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ  
بَنِي أُمَيَّةَ، إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ  
فَلَا يَبْيِثُنْ فِيكُمْ أَمْنًا زُفْرُ<sup>(٤)</sup>  
وَأُتْخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ  
وَمَا تَغَيَّبَ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعَرُ

(١) الأشر: البطر.

(٢) خور: ضعف.

(٣) العافون: طالبو المعروف.

(٤) زُفر: ابن الحارث زعيم قيس.

إِنَّ الصُّفِينَةَ تَلْقَاهَا، وَإِنْ قَدِمْتَ  
 كَالْعَرِّ، يَكْمُنُ جِينًا، ثُمَّ يَنْتَشِرُ<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ نُصِرْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا  
 لَمَّا أَتَاكَ بِبَطْنِ الْغُوطَةِ الْحَبَرُ<sup>(٢)</sup>  
 يُعَرِّفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ، وَقَدْ  
 أَضْحَى، وَلِلسَّيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ<sup>(٣)</sup>  
 لَا يَسْمَعُ الصُّوتَ مُنْتَكِأً مَسَامِعُهُ  
 وَلَيْسَ يَنْطِقُ، حَتَّى يَنْطِقَ الْحَجَرُ<sup>(٤)</sup>  
 أَمَسْتَ إِلَى جَانِبِ الْحَشَاكِ حَيْفَتُهُ  
 وَرَأْسُهُ دُونَهُ الْيَحْمُومُ وَالصُّورُ<sup>(٥)</sup>  
 يَسْأَلُهُ الصُّبْرُ مِنْ غَسَّانٍ، إِذْ حَضَرُوا  
 وَالْحَزَنُ كَيْفَ قَرَاكَ الْغِلْمَةُ الْجَشْرُ<sup>(٦)</sup>  
 وَالْحَارِثُ بْنُ أَبِي عَوْفٍ لَعِبْنَ بِهِ  
 حَتَّى تَعَاوَرَهُ الْعِقْبَانُ وَالسُّبْرُ<sup>(٧)</sup>  
 وَقَيْسُ عَيْلَانَ، حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصًا  
 فَبَايَعُوكَ جَهَارًا بَعْدَمَا كَفَرُوا

(١) العرّ: الجرب.

(٢) الغوطة: موضع قرب دمشق.

(٣) الخيشوم: رأس الأنف.

(٤) منتكأ: أصم.

(٥) الحشاك واليحموم والصور: مواضع.

(٦) الصبر، الحزن، الجشْر: من بطون غسان.

(٧) السبر: طائر جارح.



فَلَاحِدَى اللّٰهُ قَيْسًا مِّنْ ضَلَالَتِهِمْ  
 وَلَا لَعْمًا لِّبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا<sup>(١)</sup>  
 ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَصَتْ غَوَارِبُهُمْ  
 وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِّنْ أَخْلَاقِهَا الضُّجْرُ<sup>(٢)</sup>  
 كَانُوا ذَوِي إِمَةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ  
 بِهِمْ خَبَائِلُ لِلشَّيْطَانِ وَابْتِهَرُوا  
 صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَغْبٍ مَّرَاكِبُهَا  
 حَصَاءٌ لَّيْسَ لَهَا مُلَبٌّ وَلَا وَبَرٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَلَمْ يَنْزِلْ بِسُلَيْمٍ أَمْرٌ جَاهِلِيهَا  
 حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصُّدْرُ<sup>(٤)</sup>  
 إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلُهُمْ  
 إِلَى الزَّوَابِي فَقُلْنَا بُغْدًا مَا نَظَرُوا<sup>(٥)</sup>  
 كَرُّوا إِلَى حَرْتَيْهِمْ يَغْمُرُونَهَا  
 كَمَا تَكُرُّ إِلَى أَوْطَائِهَا الْبَقَرُ  
 وَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ سِنَجَارٌ خَالِيَةٌ  
 وَالْمَحَلِّيَّاتُ فَالْخَابُورُ فَالسُّرَرُ<sup>(٦)</sup>

(١) لعماً: دعاء للعائر.

(٢) الغوارب: جمع غارب: أعلى الكتف.

(٣) صُكُّوا: نُكِسُوا. الشارف: الناقة المرومة. حَصَاء: لا وبر لها. الملَب: شعر الذيل.

(٤) إيراد وصدر: ذهب وإياب.

(٥) الحنظل: نبات مر. الزواهي: مواطن تغلب.

(٦) سنجار، المحليات، الخابور، والسرور: مواضع.

وما يُلاقونَ فَرَّاصاً إلى نَسَبٍ  
حتى يُلاقِي جَدِي الفَرَقْدِ القَمَرُ<sup>(١)</sup>  
ولا الضُّبابُ إذا اخْضَرَّتْ عُيُونُهُمْ  
ولا عُصِيَّةٌ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ  
وما سَمِعَ فِيهِمْ سَاعَ لِيُذَرِّكُنَا  
إِلَّا تَقَاصَرُ عَنَّا وَهُوَ مُنْبَهَرُ  
وقَدْ أَصَابَتْ كِلَاباً، مِنْ عِدَاوَتِنَا  
إحدى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ  
وقَدْ تَفَاقَمَ أَمْرٌ غَيْرُ مُلْتَمِ  
مَا بَيْنَنَا رَجِمَ فِيهِ وَلَا عِذْرُ  
أَمَّا كُتَيْبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ  
عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيْرَادُ وَلَا صَدْرُ<sup>(٢)</sup>  
تُخْلَقُونَ، وَيَقْضِي النَّاسُ أَمْرَهُمْ  
وَهُمْ يَغْيِبُ فِي غَمِيَاءٍ مَا شَعِرُوا  
مُلْطَمُونَ بِأَغْقَارِ الْحِيَاضِ، فَمَا  
يَنْفُكُ مِنْ دَارِمِي فِيهِمْ أَثَرُ<sup>(٣)</sup>  
بِشِ الصُّحَاةِ وَبِشِ الشَّرْبِ شَرِبَهُمْ  
إِذَا جَرَى فِيهِمِ الْمَزَاءُ وَالسُّكْرُ<sup>(٤)</sup>  
قَوْمٌ تَنَامَتْ إِلَيْهِمْ كُلُّ نَحْزِيَةٍ  
وَكُلُّ فَاجِئَةٍ سُبَّتْ بِهَا مُضَرُّ

(١) فَرَّاص: علم. جدي الفرقد: كوكب.

(٢) التَّفَارُط: السباق إلى الماء.

(٣) ملطمون: منزوون. الدارمي: جد الفرزدق.

(٤) المزاء: الخمرة الخبيثة.

على العبارات هَـذَا جَوْنَ قَدْ بَلَغَتْ  
 نَجْرَانِ أَوْ حُدِّثَتْ سَوَاءُ اتِّهَمَ هَجَرٌ<sup>(١)</sup>  
 الْأَكْلُونَ خَبِيثَ الزَّادِ، وَخَذَهُمْ  
 وَالسَّائِلُونَ بظَهْرِ الْغَيْبِ مَا الْخَبْرُ  
 وَادْكُرْ عُدَانَةَ وَعِدَانًا مُزْمَنَةً  
 مِنَ الْخَبَلِ تُبْنَى حَوْلَهَا الصُّيْرُ<sup>(٢)</sup>  
 تَمْذِي إِذَا سَخَنْتَ فِي قُبُلٍ أَذْرُعُهَا  
 وَتَزْرِئُ إِذَا مَا بَلَّهَا الْمَطَرُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا عُدَانَةُ فِي شَيْءٍ مَكَائِهِمُ  
 الْحَاسِبُ الشَّاءَ، حَتَّى يَفْضَلَ السَّوْرُ<sup>(٤)</sup>  
 يَتَصِلُونَ بِبِرْبُوعٍ وَرَفْدِهِمْ  
 عِنْدَ التَّرَافِدِ مَغْمُورٌ وَغُتَقَرُ  
 صُفْرِ اللَّحَى مِنْ وَقُودِ الْأِدْخَنَاتِ إِذَا  
 رَدَّ الرُّفَادَ وَكَفَّ الْحَالِبِ الْقِرْرَ<sup>(٥)</sup>  
 ثُمَّ الْإِيَابُ إِلَى سَوْدٍ مُدْنَسَةٍ  
 مَا يَسْتَحِينُ إِذَا مَا احْتَكَّتِ النُّقْرُ<sup>(٦)</sup>

(١) العبارات: الحمير. نجران وهجر: موضعان.

(٢) عُدَانَةُ: ابن يربوع. عِدَان: المعزى مجدوعة الأنوف. المزمعة: تدلُّ من تحت حلقها.

(٣) تَمْذِي: تبول. تَزْرِئُ: تحبس.

(٤) السَّوْر: بقية الماء في الخوض.

(٥) الْأِدْخَنَات: عيدان تحدث ناراً. الْقِرْر: البرد.

(٦) النقر: جمع النقرة: الفرج.

وَأَقْسَمَ الْمَجْدُ حَقًّا لَا يُخَالِفُهُمْ  
حَتَّى يُخَالَفَ بَطْنُ الرَّاحَةِ الشَّعْرُ<sup>(١)</sup>

وقال: في مدح عبد الملك بن مروان وهجاء القيسين  
البحر الطويل

أَلَا يَا أَسْلَمِي يَا هِنْدُ هِنْدَ بَنِي بَذْرِ  
وَأَنْ كَانَ حَيَانَا عِدَى آخِرِ الدُّهْرِ  
وَأَنْ كُنْتُ قَدْ أَقْصَدْتَنِي إِذْ رَمَيْتَنِي  
بِسَهْمِكَ وَالرَّامِي يُصِيبُ وَمَا يَدْرِي<sup>(٢)</sup>  
أَسِيلَةُ عَجْرَى الدُّمْعِ أَمَّا وَشَاخُهَا  
فَجَارٍ وَأَمَّا الْجِجْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي<sup>(٣)</sup>  
تُؤْتُ وَتُخَيَّا بِالضُّجَيْعِ وَتَلْتَوِي  
بِمُطَرِّدِ الْمَتَمِّينِ مُنْتَبِرِ الْخَصْرِ<sup>(٤)</sup>  
وَكُنْتُمْ إِذْ تَنَازَوْنَا تَعَرُّضْتُ  
خِيَالَاتِكُمْ أَوْ بَتُّ مِنْكُمْ عَلَى ذُكْرِ  
لَقَدْ خَلَتْ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ حَرْبُنَا  
عَلَى بَابِ السَّيِّئِ مُحَذِّدِ الظُّهْرِ  
وَقَدْ سَرَّيَ مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ أَنِّي  
رَأَيْتُ بَنِي الْعَجْلَانِ سَادُوا بَنِي بَذْرِ

---

(١) الراحة: الكف.

(٢) أقصد: أبعد.

(٣) أسيلة: ناعمة.

(٤) متبر: ضعيف.

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجْلَانِ جِيناً إِذَا بَكَى  
 عَلَى الزَّادِ الْقَتْنَةَ الْوَلِيدَةَ فِي الْكَسْرِ<sup>(١)</sup>  
 فَيُصْبِحُ كَالْحَفَاشِ، يَذُكُّ عَيْنَهُ  
 فَقُبْحٌ مِنْ وَجْهِ لَيْمٍ، وَمَنْ حَجَرَ<sup>(٢)</sup>  
 وَكُنْتُمْ بَنِي الْعَجْلَانِ الْأُمَّ عِنْدَنَا  
 وَأَحْقَرُ مِنْ أَنْ تَشْهَدُوا عَالِي الْأَمْرِ  
 بَنِي كُلِّ دَسَاءِ الثِّيَابِ، كَأَنَّمَا  
 طَلَاهَا بَنُو الْعَجْلَانِ مِنْ حُمِّ الْقَدْرِ<sup>(٣)</sup>  
 تَرَى كَعْبَهَا قَدْ زَالَ مِنْ طَوْلِ رَعِيهَا  
 وَقَاحُ الذَّنَابِ بِالسَّوِيَةِ وَالزُّفْرِ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِنْ نَزَلَ الْأَقْوَامُ مَنَزِلَ عِفَّةٍ  
 نَزَلْتُمْ بَنِي الْعَجْلَانِ مَنَزِلَةَ الْخُسْرِ

وقال من قصيدة يمدح فيها عباد بن زياد بن أبيه :

كَرِيمُ مُنَاخِ الضَّيْفِ، لَا عَائِمُ الْقُرَى  
 وَلَا عِنْدَ أَطْرَافِ الْقَنَا بَهِيُوبٍ<sup>(٥)</sup>  
 كَثِيرٌ بِكَفْيِهِ النَّدَى، حِينَ يُعْتَرَى  
 عَيْيَةً، لَا جَافٍ وَلَا يَغْضُوبٍ<sup>(٦)</sup>

(١) الكسر: جانب الدار.

(٢) الحجر: محجر العين.

(٣) دسَاء الثياب: ثياب عليها دسم. حم القدر: سواد على القدر.

(٤) قاح الذناب: اتسخ عجزها. الزفر: الحمر.

(٥) المناخ: مكان بروك الإبل. هيوب: خائفة.

(٦) يُعْتَرَى: يُزَار.

عَرُوفَ لِحَقِّ السَّائِلِينَ، كَأَنَّهُ  
لَعَفَرِ الْمَتَالِي طَالِبٌ بِذُنُوبٍ<sup>(١)</sup>  
تَرَى مُتَرَعَّ الشَّيْزَى يَزِينُ فُرُوعَهَا  
عَبَائِطُ مِتْلَافِ الْيَذِينَ خَصِيبٍ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ سِبَاعَ الْغِيلِ وَالطَّيْرَ تَغْتَنِي  
مَلَاحِمَ نَقَاصِ الثَّرَاتِ، طَلُوبٍ<sup>(٣)</sup>

وقال في هجاء ابني وائل:  
البحر الوافر

غدا أبنا وائل لِعَبَائِبِي  
وَبَيْنَهُمَا أَجَلٌ مِّنَ الْعِتَابِ  
أَمُورٌ، لَا يُنَامُ عَلَى قَذَاهَا  
تُغْصُ ذَوِي الْحَفِيفَةِ بِالشَّرَابِ<sup>(٤)</sup>  
تَرْقُوا فِي النُّخَيْلِ، وَأَنْسُونَا  
دِمَاءَ سَرَاتِكُمْ يَوْمَ الْكُلَابِ<sup>(٥)</sup>  
فَيَسَّسَ الطَّالِبُونَ، غِدَاةَ شَالَتْ  
عَلَى الْقُعْدَاتِ أَسْتَاهُ الرِّبَابِ<sup>(٦)</sup>

(١) المتالي: النوق العشار.

(٢) شيزى: شجر تصنع منه الأوعية للطعام. خصيب: كريم.

(٣) الغيل: الغبضة. الترة: الثار.

(٤) الحفيظة: الحمية. والقذى: ما يسقط بالعين.

(٥) السراة: جمع السري: السيد.

(٦) شالت: ارتفعت. القعدات: الدواب.

تَجُولُ بَنَاتُ حَلَابٍ عَلَيْهِمْ  
وَتَزْحَرُقُنَّ بَيْنَ هَلٍ وَهَابٍ<sup>(١)</sup>  
وَعَبْدُ الْقَيْسِ مُضْفَرٌ لَهَا  
كَأَنَّ فُسَاءَهَا قَطَعَ الضُّبَابِ  
إِذَا سَطَعَ الثُّبَارُ خَرَجْنَ مِنْهُ  
بِأَسْوَدٍ مِثْلَ خَافِيَةِ الْعَقَابِ  
فَمَا قَادُوا الْجِيَادَ وَلَا افْتَلَوْهَا  
وَلَا رَكَبُوا نُحَيْسَةَ الرِّكَابِ  
عَلَى أَثَرِ الْحَمِيرِ مُوَكَّفِيهَا  
جَنَائِبُهُمْ حَوَالِي الْكِلاَبِ<sup>(٢)</sup>  
أَبَا غَسَّانَ، إِنَّكَ لَمْ تُهِنِي  
وَلَكِنْ قَدْ أَهَنْتَ بَنِي شِهَابِ  
أَتَيْتُكَ سَائِلًا، فَخَرَفْتَ سُؤْلِي  
وَمَا أَعْطَيْتَنِي غَيْرَ التَّرَابِ  
إِذَا مَا اخْتَرْتُ بَعْدَكَ جُحْدَرِيًّا  
عَلَى قَيْسٍ، فَلَا آبَتْ رَكَابِي

وقال :

البحر الطويل

لُجَيْمُ بْنُ صَفْبٍ، لَمْ تَنْلَهَا عِدَاوِي  
وَمَا نَبَحْتُ آلَ الْخَصِيبِ كِلَابِي

---

(١) حَلَاب: فحل كريم تنسب إليه خيل تغلب.  
(٢) فرس موكف: عليها البردعة. الجنائب: الخيل الكريمة.

أُولَئِكَ قَوْمٌ يَرْفَعُونَ غَلَّتْهُمْ  
إِلَى فَجَوَاتٍ أَشْرَفَتْ وَرَوَابِي<sup>(١)</sup>  
وَلَكِنَّمَا هَاجَ الَّذِي بَيْنَنَا  
سَدُوسٌ، وَمَا عِيدَانُهَا بِصِلَابٍ<sup>(٢)</sup>  
بَنُو كُلِّ مِثْقَالٍ، كَأَنَّ جَبِينَهَا  
إِذَا زَحَلَتْ عَنْهُ، جَبِينُ غُرَابٍ

وقال: في مدح عبد الله بن سعيد بن العاص  
البحر الوافر

أَلَمْ تَغْرِضْ، فَتَسَالَ آلَ تَهْوٍ  
وَأَرْوَى، وَالْمِدْلَةَ، وَالرُّبَابَا<sup>(٣)</sup>  
بِأَيَّامٍ خِرَالٍ صَالِحَاتٍ  
وَلَذَاتٍ تُذَكِّرُنِي الشَّبَابَا  
نَزَلْتُ بِهِنَ فَاسْتَذَكَيْتُ نَاراً  
قَلِيلاً، نَمَّ أَشْرَعْنَ الذُّهَابَا  
وَكُنَّ إِذَا بَدَوْنَ بِقُبُلٍ صَيِّفٍ  
ضَرْبَيْنَ بِجَانِبِ الْحَفْرِ الْقِيَابَا  
نَوَاعِمُ لَمْ يَقْظَنَ بِجُدٍ مُقْلٍ  
وَلَمْ يَقْذِفْنِ عَنْ حَفْصٍ غُرَابَا<sup>(٤)</sup>

(١) الروابي: المرتفعات.

(٢) سدوس: قبيلة عربية.

(٣) لهو، أروى، مدلة، رباب: أسماء نساء.

(٤) يقظن: يقمن صيفاً. جُد: بئر. حفص: بعير يحمل المتاع.



كَانَ الرُّبْطُ فَوْقَ ظَبَاءٍ فَلَجَ  
 غَدَاةً لَيْسَنَ، لَبْنِ، الثَّيَابِ  
 فَفَارَقَنَ الْخَلِيطَ عَلَى سَفِينِ  
 يَشْتَقُّ بِهِنَ أَمْوَاجًا صِعَابًا<sup>(١)</sup>  
 تَرَى الْمَلَّاحَ مُتَحِيزًا بِلَيْفِ  
 يَوْمٍ بِهِنَ آجَامًا وَغَابَا  
 إِذَا الثُّبَانُ قَلَصَ عَنْ مُشِيحِ  
 صَدْفِنَ، وَلَمْ يُرِدْنَ لَهُ عِتَابًا<sup>(٢)</sup>  
 يَعْجُ الْمَاءُ تَحْتَ مُنْخَرَاتِ  
 يَصُكُّ الْقَارَ وَالْخَشَبَ الصُّلَابَا  
 يَغْمُرْنَ عَلَى كَلَامِلِهِنَّ فِيهِ  
 وَلَوْ يُزْجَى إِلَيْهِ الْفَيْلُ، هَابَا<sup>(٣)</sup>  
 إِذَا مَا اضْطَرُّمْنَ إِلَى مَضِيْقِ  
 وَمَوْجِ الْمَاءِ يَطْرُدُ الْحَبَابَا  
 تَتَابَعُ صِرْمَةُ الْوَحْدِيِّ تَأْوِي  
 لِأَوْلَاهَا، إِذَا الرَّاعِي أَهَابَا  
 دَجَنَ بِحَيْثُ تَنْتَبِغُ الْمَطَايَا  
 فَلَا بَقَا يَخْفَنَ وَلَا دُبَابًا<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا الْقَوَا مَرَايِيَهُنَّ، حَلُّوَا  
 دَبِيبَ السَّبِي، يَبْتَدِرُ النُّقَابَا

(١) الخليط: القوم.

(٢) الثبان: سروال قصير. صدفن: عدلن.

(٣) كلاكل: جمع كلكل: مقدم الصدر.

(٤) تنتبغ: تتفرق.

تَفَرَّجَ مَائِحُ السُّبْحَاءِ عَنْهَا  
إِذَا نَزَحَتْ، وَقَدْ لَذَّ الشَّرَابُ  
لِيَالِيْ وَافَتْ الصُّبْحُ الثُّرَيَّا  
وَاحْتَت كُلُّ هَاجِرَةٍ شَهَابًا<sup>(١)</sup>  
أَفَاطِمُ أَغْرَضِي قَبْلَ أَلْنَايَا  
كَفَى بِالْمَوْتِ هَجْرًا وَاجْتِنَابَا  
بَرَقَتْ بِعَارِضِيكَ وَلَمْ تَجُودِي  
وَلَمْ يَكُ ذَاكَ مِنْ نَعْمَى ثَوَابَا  
كَذَلِكَ أَخْلَقْنَا أُمَّ بَشَرٍ  
عَلَى أَنْ قَدْ خَلَتْ غُرًّا عَذَابًا<sup>(٢)</sup>  
شَتِيًّا يَرْتَوِي الظُّمَأُنُ مِنْهُ  
إِذَا الْجُوزَاءُ أَجْحَرَتِ الضُّبَابَا<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ قَالَتْ مُدَلَّةٌ، إِذْ قَلَّتَنِي  
أَرَاكَ، كَبُرْتُ، وَالصُّدْعَيْنِ شَابَا<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ يَكُ رَيْقِي قَدْ بَانَ مِنِّي  
فَقَدْ أَزْوِي بِهِ الرُّسْلُ اللَّهَابَا<sup>(٥)</sup>  
وَكُنْ إِذَا وَرَدَّنْ لَيْتَمَ ظِمْمٌ  
عَبَاتُ لِكُلِّ حَائِمَةٍ ذُنَابَا<sup>(٦)</sup>

(١) وافت: أدركت. الهاجرة: شدة الحر.

(٢) الغر: الأسنان البيضاء.

(٣) الجوزاء: أشد أيام الحر.

(٤) قَلَّتْ: أبغضت.

(٥) الرسل: جماعة النساء. اللهاب: العطاش.

(٦) الحائمة: الظمأى. ذناب: دلو.

أَذُودُ اللَّخْلَخَانِيَّاتِ عَنْهُ  
وَأَمْنِحُهُ الْمَصْرَحَةَ الْعِرَابَا  
وَحَائِمَتَانِ تَبْتَفِيَانِ سِرِّي  
جَعَلْتُ الْقَلْبَ دُونَهَا جَبَابَا  
وَصَاحِبُ صَبُوءٍ صَاحِبْتُ حِينَا  
فَتَبْتُ، الْيَوْمَ، مِنْ جَهْلٍ، وَتَابَا<sup>(١)</sup>  
وَنَفْسُ الْمَرْءِ تَرْصُدُهَا الْمُنَايَا  
وَتَحْلُرُ حَوْلَهُ حَتَّى يُصَابَا  
إِذَا أَمَرْتُ بِهِ أَلْقَتْ عَلَيْهِ  
أَحَدُ بِلَاحِهَا ظَفَرًا وَنَابَا  
وَأَعْلَمُ أَنِّي عَمَّا قَلِيلٍ  
سَتَكْسُونِي جَنَادِلٌ أَوْ تُرَابَا<sup>(٢)</sup>  
فَمَنْ يَكُ سَائِلًا بَنِي سَعِيدٍ  
فَعَبْدُ اللَّهِ أَكْرَمُهُمْ نَصَابَا  
تَذَرْتُ الذَّوَابَّ مِنْ قُرَيْشٍ  
وَإِنْ شُعَبُوا تَفَرَّغَتْ الشُّعَابَا  
بِحُورِ بَنِي أُمَيَّةٍ، أَوْزَنُوهُ  
حَمَلَاتٍ وَأَخْلَاقًا رَغَابَا<sup>(٣)</sup>  
وَتَجْمَعُ نَوَافِلًا وَبَنِي عِكَبٍ  
كَلَا الْحَيَيْنِ، أَفْلَحَ مَنْ أَصَابَا

(١) الصبوة: العشق.

(٢) جنادل: جمع جنذل: صخرة.

(٣) حمالات: غرامات القتل. الرغاب: الواسعة.

وَمَنَا قَدْ تَمَّتْكَ عُروُقُ صَدِيقِ  
 إِذَا الْجَبَجِرَاتُ أَغْوَيْنَ الْكِلاَبَا<sup>(١)</sup>  
 مِنَ الْفَتْيَانِ، لَا يَهْجُ بِذُنُيَا  
 وَلَا جَزَعُ، إِذَا الْحَدَثَانُ نَابَا  
 أَغْرُ مِنَ الْأَبَاطِحِ مِنْ قُرَيْشِ  
 بِهِ تَسْتَمْطَرُ الْعَرَبُ السَّحَابَا

وقال:

البحر الطويل

حَبِيبُ بْنُ عَتَابٍ أَرَى الْأَمْرَ دُونَهُ  
 وَلَا وَرْعُ إِنْ الْقِنَاعُ بِجُنْدُبِ  
 فَإِنْ تَرَبَّعُوا تَرَبَّعَ فَوَارِسُ مُغَرِّضِ  
 وَإِنْ تَرَكَبُوا لِاحِدَى الْغَوَايَةِ تَرَكَبِ

وقال:

البحر الطويل

أَلَا بَانَ بِالرُّهْنِ الْغَدَاةُ الْحَبَائِبُ  
 فَأَنْتَ تَكْفُ الدَّمَغَ وَالدَّمَغُ غَالِبُ  
 رَأَيْتُ أَبَا النَّجَّارِ حَاذَرَ إِبْلَهُ  
 وَالْهَى كَثِيراً أَعْنَزُ وَرَكَائِبُ

وقال:

البحر الوافر

تُعَمِّرُنِي شَرَابُ الشَّيْخِ كِسْرَى  
 وَيَشْرَبُ قَوْمُكَ الْعَجَبَ الْعَجِيبَا

---

(١) جحرات : سنوات عجاف .

لهو وغزل  
البحر الطويل

وبالجِزَعِ مِنْ خَفَانٍ صَاحِبَتْ عُضْبَةً  
مُصْحَحَةً الْأَجْسَادِ، مَرْضَى عِيُونَهَا<sup>(١)</sup>  
فَلِنْ يَكْ قَدْ بَانَ الصَّبَى أُمَ مَالِكٍ  
فَقَدْ تَغْتَرِبُنِي الْهَيْفُ مِبْلَ قُرُونَهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَيْلٍ كَسَاجِ الطَّيْلَسَانِ، لَهْوَتُهُ  
بِمَرْتَجَةِ هَيْفٍ، خَاصِ بَطُونَهَا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا احْتَنَاهَا الرُّكْبَانُ، كَانَ الْأَذْمَا  
إِلَى ذِي الصَّبَى، ذُو ضِغْنِهَا وَخَزُونَهَا  
إِذَا مَعَكَ الدَّيْنُ الْغَرِيمُ، فَلَمَّا  
عَلَى كُلِّ أَحْيَانٍ تَحُلُّ دُيُونَهَا<sup>(٤)</sup>

في هجاء جرير وقومه  
البحر الكامل

أَجْرِيرُ إِنَّكَ وَالَّذِي تَسْمُو لَهُ  
كَأَسِيفَةٍ فَخَرْتُ بِحَذَجِ حَصَانٍ<sup>(٥)</sup>  
هَلَكْتُ لِرَبَّتِهَا، فَلَمَّا عُولَيْتُ  
نَسَلْتُ تُعَارِضُهَا مَعَ الْأَظْمَانِ

(١) خفان: بلدة قرب الكوفة.

(٢) الهيف: جمع الهيفاء: الضاية. القرون: صفائر الشعر.

(٣) الطيلسان: الثوب الأسود. خاص البطون: ضامرات.

(٤) معك: أبطأ.

(٥) أسيفة: جارية.

اتَعُدْ مَأْتِرَةً لِّغَيْرِكَ ذَكَرُهَا  
 وَسَنَاوَهَا فِي غَايِرِ الْأَزْمَانِ  
 فِي دَارِمٍ تَاجُ الْمُلُوكِ وَصَهْرُهَا  
 أَيَّامُ يَرْبُوعٍ مَعَ الرَّغِيَانِ (١)  
 مُتَلَفَّفٌ فِي بُرْدَةٍ حَبَقِيَّةٍ  
 بِفِنَاءٍ بَنِيَتْ مَذْلَجُهُ وَهَوَانِ (٢)  
 يَغْدُو بَنِيهِ بِثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ  
 وَيَكُونُ أَكْبَرُ هَمِّهِ رَبِقَانِ (٣)  
 مَبَقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ تَجْمَعٍ تَلْعَةٍ  
 بِالْجَدِّ، عِنْدَ مَوَاقِفِ الرُّكْبَانِ  
 فَلِذَا رَأَيْتَ مُجَاشِعًا قَدْ أَقْبَلَتْ  
 فَاهْرُبْ إِلَيْكَ خَافَةَ الظُّرَّانِ (٤)  
 وَإِذَا وَرَدَتْ الْمَاءُ، كَانَ لِدَارِمٍ  
 عِفْوَاتُهُ وَسُهُولَتُهُ الْأَعْطَانِ (٥)  
 فَاحْشَا إِلَيْكَ كُتَيْبٌ، إِنْ مُجَاشِعًا  
 وَأَبَا الْفَوَارِسِ نَهْشَلًا أَخَوَانِ  
 قَوْمٌ، إِذَا خَطَرَتْ عَلَيْكَ فَحْوُلُهُمْ  
 جَعَلُوكَ بَيْنَ كَلَاكِلِ وَجَرَانِ (٦)

(١) دارم: قوم الفرزدق. يربوع: قوم جرير.

(٢) بُرْدَةٌ حَبَقِيَّةٌ: ثوب بال.

(٣) ربقان: جبل يُشَدُّ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ.

(٤) مجاشع: جد الفرزدق.

(٥) العفوات: الصفاء. الأعطان: مبارك الإبل.

(٦) كلاكل: جمع كلاكل: مقدم الصدر. جران: صفحة العنق.

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ  
 رَجَحُوا، وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ<sup>(١)</sup>  
 وَلَقَدْ تَجَارَيْتُمْ عَلَى أَحْسَابِكُمْ  
 وَبَعَثْتُمْ حَكَمًا مِنَ السَّلْطَانِ<sup>(٢)</sup>  
 فَلِذَا كُتِبَ لَا تُوَاظِنُ دَارِمًا  
 حَتَّى يُوَاظِنَ حَزْرَمَ بَابَانَ<sup>(٣)</sup>

## نقض العهود

فخر

البحر المتقارب

مَا زَالَ أَلْسِنَةُ نَاطِقِينَا  
 وَأَخَذَاتُ مَا يُحَدِّثُ أَتَجَرُّمُونَا  
 وَنَقُضُ الْعُهُودَ بِإِثْرِ الْعُهُودِ  
 تَوُزُّ الْكُتَائِبُ حَتَّى حِينَا<sup>(١)</sup>  
 فَكَايُنُ تَرَى مِنْ ذُكُورِ السُّيُوفِ  
 تَطِيرُ قَمَحْدُودَةٌ وَالجَبِينَا<sup>(٥)</sup>

(١) شال: ارتفع.

(٢) السلطان: الحاكم وأراد نفسه عندما حكم بين جرير والفرزدق.

(٣) حرزم وأبان: جبلان.

(٤) تَوُزُّ: تهز.

(٥) قَمَحْدُودَةٌ: أعل العنق.

وقال في هجاء النابغة الجعدي:  
البحر الوافر

لَقَدْ جَارَى أَبُو لَيْلٍ بِقَحْمٍ  
وَمُنْتَكِبٍ عَلَى التَّفْرِيبِ، وَإِنْ<sup>(١)</sup>  
إِذَا هَبَطَ الْخَبَارُ، كَبَا لِفِيهِ  
وَحَرُّ عَلَى الْجَحَافِلِ وَالْجِرَانِ<sup>(٢)</sup>  
يُبْضِضُ، وَالْقَنَا زُورٌ إِلَيْهِ  
وَقَدْ اغْتَدَزْنَ فِي وَضَحِ الْعِجَانِ<sup>(٣)</sup>  
يُخَوِّقُنِي أَبُو لَيْلٍ، وَدُونِي  
بَنُو الْقَمَرَاتِ وَالْحَرْبِ الْعَوَانِ  
مَتَقَذِفٌ وَائِلٌ حَوْلِي، جَمِيعاً  
وَتَطْعُنُ إِنْ أَشِيتُ إِلَى الطُّعْمَانِ<sup>(٤)</sup>  
وَمَا أَنَا، إِنْ أَرَدْتُ - هَجَاءُ قَيْسٍ  
بِمَخْذُولٍ، وَلَا خَاشِي الْجَنَانِ  
أَهْمُ بِشَتْمِهِمْ، وَنَكُفُّ جِلْمِي  
عَوَارِمٌ يَغْتَلِجُنْ عَلَى لِسَانِي<sup>(٥)</sup>  
خَنَافِسُ أَدْلَجْتُ لِمَبِيتِ سَوْءٍ  
وَرِنَنَ فِرَاشُ زَانِيَةٍ وَزَانٍ<sup>(٦)</sup>

(١) أبو ليل: كنية النابغة الجعدي.

(٢) الخبار: الأرض كثيرة الحفر.

(٣) العجان: الأسن.

(٤) أشيت: قصدت.

(٥) عوارم: جمع عارمة: قصيدة هجاء.

(٦) أدلجت: سارت ليلاً.



وما أمّ، رَبَّوَتْ عَلَى يَدَيْهَا  
بِطَاهِرَةِ الثِّيَابِ وَلَا خَصَانٍ <sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ عِجَانَهَا لَحْيَا جُزُورٍ  
تَحْسَرُ عَنْهَا وَضُرُّ الْجِرَانِ <sup>(٢)</sup>  
وَلَوْ أَنِّي بَسَطْتُ عَلَيْكَ شَتْمِي  
وَجَدْتُكَ مَا مَسَحْتُكَ بِالذَّمَانِ  
فَلَا تَنْزِلْ بِجَعْدِي، إِذَا مَا  
تَرَدَّى الْمَكْرَعَاتُ مِنَ الدُّخَانِ <sup>(٣)</sup>  
فَإِنَّكَ غَيْرُ وَاجِدِهِ خَشُوداً  
وَلَا مُنْتَنِكِراً دَارَ الْهَوَانِ  
يَبِيتُ عَلَى فَرَاسِنَ مُعْجَلَاتٍ  
خَبِيثَاتٍ الْمَغْبَةِ وَالْعُثَانِ <sup>(٤)</sup>  
وَيُلَوِّ شُلُو تَمَرِّقُ الْأَغْرَاسُ عَنْهُ  
إِذَا لَمْ يَضْلُهُ لَهَبُ الْأَفَانِ <sup>(٥)</sup>  
وَمَا تَنْفَكُ حَنْكَلَةُ زَمُوعٍ  
تُوعِدُهُ إِلَى آذَى مَكَانٍ <sup>(٦)</sup>  
أَزْبُ الْحَاجِبِينَ بِغُوفِ مَوءٍ  
مِنْ الْحَيِّ الَّذِينَ عَلَى قَنَانٍ <sup>(٧)</sup>

(١) خَصَان: امرأة عفيفة.

(٢) البجبان: الأست. جزور: ناقة للذبح. وَضُر: وسخ الدم.

(٣) مكراعَات: إبل موقدة أعناقها.

(٤) فراسن: حوافر البعير. العُثَان: الدخان.

(٥) الشلو: ولد الناقة.

(٦) الحنكلَة: الدميعة من النساء. زموع: سريعة.

(٧) أَرَبُ الْحَاجِبِينَ: كنيها.

قَبِيلَةٌ يَرَوْنَ الْغَدَرَ تَجْدَأُ  
وَلَا يَذْرُونَ مَا نَقُلُ الْجِفَانِ

وقال يهجو:

البحر الوافر

أَلَا يَا لَيْتَ كَلْبًا بَادَلُونَا  
بَمَوْلَاهَا، فَكَانَ لَنَا الصُّمِيمُ<sup>(١)</sup>  
فَبَادَلْنَا بَزَيْدِ اللَّاتِ عَوْضًا  
كَلَّا الْبَذَلِينَ مُقْتَرَفٌ بِهِمْ  
وَطَابِخَةُ الَّتِي لَا عِزَّ فِيهَا  
تَجِيرُ بِهِ وَلَا حَسَبٌ كَرِيمُ<sup>(٢)</sup>  
لَعَنَمُكَ إِنِّي وَأَبِي جُعِيلُ  
وَأُمُّهُمَا لِإِسْتَارِ<sup>(٣)</sup> لَثِيمِ<sup>(٤)</sup>  
فَمَا تَذَرِي، إِذَا مَا النَّاسُ سَارُوا  
أَنْظَعُنْ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْ تُقِيمُ  
يَظَلُّ بَنُو النُّعَامَةِ حَائِسِيهِمْ  
إِذَا وَرَدُوا، وَوَرَدُهُمْ دَمِيمُ

البحر الطويل

شَعَبْتُ شُؤُونَ الرُّأْسِ بَعْدَ انْفِرَاجِهِ  
بَصْهَبَاءِ صِرْفٍ مِنْ طَلِيَّةٍ رَسْتَمِ<sup>(١)</sup>

(١) صميم: حر.

(٢) طابخة: قوم من العرب.

(٣) إستار: كلمة غير عربية معناها أربعة.

(٤) شعبت: جمعت. صهباء: خمرة متغير لونها. رستم: اسم.

فخر

البحر الطويل

وَأَنَا لِحَبَّاسُونَ عَكَّافَةٌ بِنَا  
لَنَنْظُرَ مَا يَقْضِي إِلَيْهَا الْأَرَاقِمُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا مَا قَسَمْنَا سَبِي قَوْمٍ وَمَالَهُمْ  
دَعَانَا لِقَوْمٍ آخِرِينَ مُزَاجِمُ

مدح

البحر الكامل

رَعَمُوا وَلَمْ أَكْ شَاهِدًا لِمَقَامِهِ  
أَنْ الْخَطِيبَ لَدَى الْإِمَامِ الْهَيْثُمُ  
صَدَرَتْ وَقُودُ النَّاسِ عَنْ كَلِمَاتِهِ  
بِالْشَّامِ إِذْ خَرَجَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ

في هجاء بني بكر وشيخان وتيم اللات

البحر الطويل

أَيُّوعُدُنِي بِكَرٍّ وَيَنْقُضُ عُزْقَهُ  
فَقُلْتُ لِبَكْرٍ: إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمُ  
سَتَمْنَعُنِي مِنْكُمْ رِمَاحُ ثُرَيَّةَ  
وَعَلَصَمَةُ تَزُورُ عَنْهَا الْغَلَاصِمُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا لَبَنِي شَيْبَانٌ عِنْدِي ظَلَامَةٌ  
وَلَا يَدُمُ تَسْمَى عَلَيَّ الْخَنَابِمُ<sup>(٣)</sup>

(١) عكافة: اسم امرأة. الأرقام: التغليبون.

(٢) ثرية: كثيرة. الغلصمة: الجماعة.

(٣) الخناتم: جمع الختم: الجرة.

غَضَابُ كَأَنِّي فِي بِيَاضِ أَكْفِهِمْ  
 أَلَا رُبَّمَا لَمْ تَسْتَطِيعْنِي اللَّهَازِمُ <sup>(١)</sup>  
 وَنُبَيْتُ تَيْسَمَ اللَّاتِ تَنْذَرُ مُهْجَتِي  
 وَفِيهَا هِلَالٌ طَالِعٌ وَمُزَاحِمُ <sup>(٢)</sup>  
 لِنَاحَةِ مَنْ يَخْتَلِسُ بَغْضَ سَمِّهَا  
 مِنْ النَّاسِ يَغْفِرُ كَفَّهُ وَهُوَ نَادِمُ <sup>(٣)</sup>  
 وَيَعْتَرِفُ الْبَكْرِيُّ مَا دَامَتِ الْعَصَا  
 لِذِي الْعِزِّ وَالْبَكْرِيُّ مَا اسْطَاعَ ظِلْمُ  
 تَدَارِكُ مَفْرُوقاً بَنُو عَمِّ أُمِّهِ  
 وَقَدْ حَجَنَتْهُ وَالْهَجَانُ الْأَرَاقِمُ <sup>(٤)</sup>

فِي هِجَاءِ شِيَانِ  
 الْبَحْرِ الطَّوِيلِ

أَفِي كُلِّ عَامٍ لَا يَزَالُ لِعَامِرٍ  
 عَلَى الْفِزْرِ نَهَبٌ مِنْ أَرُوشٍ مُزْنَمُ <sup>(٥)</sup>  
 لَعَمْرُكَ مَا أَقْدَرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ  
 أُمْرَةٍ أَمْ أَعْمَامُ مُرَّةٍ أَظْلَمُ <sup>(٦)</sup>

(١) اللهازم: جمع اللهم: السيد.

(٢) هلال ومزاحم: من بطون العرب.

(٣) الحمة: مكان السم في الأنفى وغيرها. يعفر كفه: يهوي على الأرض.

(٤) المفروق: أحد بني شيان أسره التغلبيون وأطلقوه. الهجان: الإبل الكريمة.

(٥) الفزر: قوم من شيان. الأروش: غرامة تدفع عن الجراح. مزنم: بغير شققت أذنه.

(٦) مرة: ابن ذهل بن شيان.

فَمَا لِلسَّامِينَ لَا يَقُومُ خَطِيبُهَا  
 وَمَا لِابْنِ ذِي الْجُدَيْنِ لَا يَتَكَلَّمُ<sup>(١)</sup>  
 بِشَنْعَاءَ بَيْنَ الْأَصْلِ لَا يَسْتَطِيعُهَا  
 إِذَا الْقَوْمُ هَابُوهَا السَّخِيفُ الْمَزْمُ  
 عَلَى حِينٍ لَا يَذَرِي أَمَّا قَدْ مَضَى لَهَا  
 مِنَ اللَّيْلِ أَمْ مَسْتَأَخِرُ اللَّيْلِ أَعْظَمُ  
 وَمَا كَانَتْ الْجَبَاءُ فِينَا مَرَبَّةً  
 وَلَا تَمَدُّ الْغُورَيْنِ ذَاكَ الْمَقْدَمُ<sup>(٢)</sup>

فِي هِجَاءِ سُيُودِ بْنِ مَنْجُوفِ السَّدُوسِيِّ  
 لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنْهُ أَمْرًا وَلَمْ يُجِبْهُ.

الْبَحْرُ الطَّوِيلُ

مَا جَذَعُ سَوْءٍ خَرَّبَ السَّوْسُ أَضْلُهُ  
 لَمَّا حَمَلَتْهُ وَائِلٌ بِطَاطِقِي  
 تُطِيفُ سَدُوسٌ حَوْلَهُ، وَكَأَنَّهَا  
 عَصِيٌّ أَشَاءُ، لَوَحَتْ بِخَرِيقِي  
 جِمَادُ الصَّفَا مَا إِنْ يَبْضُ بِقَطْرَةٍ  
 وَلَوْ كَانَ ذَا زُرَاعَةٍ وَرَقِيقِي<sup>(٣)</sup>  
 فَإِنْ نَعَفَ عَنْ مُحْرَانٍ بِكَرْبِنِ وَائِلٍ  
 فَمَا إِنْ لَنَا سُودَانَهُمْ بِصَدِيقِي<sup>(٤)</sup>

(١) السمين: من أحفاد مرة.

(٢) الجباء: قلعة باليمن. مرة: مكان للعبادة. ثمم الغورين: موضع.

(٣) الصفا: الصخرة. يبض: يقطر.

(٤) حران: أراد الشقر.

## أيا راكباً

نظم الأخطل هذه الأبيات متفاخراً بأصلته  
في العرب وبدفاعه عن الدارمين وبتنكيله  
ببني كليب، وبإطفاؤه لنار الجمعديين، قوم  
الناطقة الجمعدية، وبوفاته لعهد الفرزدق:

البحر الطويل

أيا راكباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَقَنْ  
بُنَانَةً بِالْحِصْنَيْنِ وَابْنَ الْمُحَلَّقِ<sup>(١)</sup>  
وَعِمْرَانَ أَنْ أَذُوا الَّذِي قَدْ وَابَتْهُمُ  
وَأَعْرَاضُكُمْ مَوْفُورَةٌ لَمْ تُمَزَّقْ  
أَلَمْ تَعْلَمُوا يَا قَوْمُ أَنِّي وَرَاكُمُ  
فَمَا يُرْتَقَى حِصْنِي إِلَيْكُمْ وَخُنْدَقِي  
وَمَا أَنَا إِنْ عَدْتُ مَعْدُ قَدِيمِهَا  
بِمَنْزِلَةِ الْمَوْلَى وَلَا الْمُتَمَلِّقِ<sup>(٢)</sup>  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَبْلَيْتُ فِي الشَّعْرِ دَارِمًا  
بِلَاءَ نَمَى فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ  
بِلَاءَ امْرِئٍ لَا مُسْتَشِيبَ بِنِعْمَةٍ  
فَتُشْكِرُ نِعْمَاهُ وَلَا تُتَمَلَّقِي  
هَجَوْتُ كُليباً أَنْ هَجَوْا آلَ دَارِمٍ  
وَأَمْسَكْتُ مِنْ يَرْبُوعِهِمْ بِالْمُخْنَقِ<sup>(٣)</sup>

(١) بنانة: امرأة سعد بن لؤي. الحصنان: موضع بالموصل.

(٢) معد: قبيلة عربية.

(٣) دارم: قبيلة الفرزدق. يربوع قبيلة جرير.

وَرَفَعْتُ أَبِي لَيْلٍ فَاطْفَأْتُ نَارَهُمْ  
وَأَقَرَزْتُ عَيْنِي مِنْ جِدَاءِ الْحَبَلِقِ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ يَكُ أَقْوَامٌ أَضَاعُوا، فَلِئَنِّي  
حَفِظْتُ الَّذِي بَنِي وَبَيْنَ الْفِرَزْدَقِ

قال يهجو قوم جرير:  
البحر البسيط

أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ، فَلِئَنَّهُمْ  
شَرُّ الرُّفَاقِ، إِذَا مَا حُصِّلَ الرُّفْقُ<sup>(٢)</sup>  
سَوْدُ الْوَجْهِ، وَرَاءَ الْقَوْمِ مَجْلِسُهُمْ  
كَأَنَّ قَائِلَهُمْ فِي النَّاسِ مُسْتَرِقُ  
الْبَائِثُونَ، قَرِيباً، دُونَ أَهْلِهِمْ  
وَلَوْ يَشَاوُونَ أَبَا الْحَيِّ، أَوْ طَرَقُوا

في هجاء جرير وقومه ومدح الفرزدق وقومه:  
البحر الطويل

مَا لَكَ عِزُّ التَّغْلِبِيِّ الَّذِي بَنَى  
لَهُ اللَّهُ فِي شَمِّ الْجِبَالِ الْخَوَارِكِ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا لَكَ مَا يَبْنِي الْجَيْمُ، إِذَا ابْتَنَى  
عَلَى عَمَدٍ فِيهَا طَوَالِ الْمَسَامِكِ<sup>(٤)</sup>

(١) أبو ليل: كنية النابغة الجعدي. جداء الحبلق: صفار الماعز. وأراد بني سليم.

(٢) كليب بن يربوع: قوم جرير.

(٣) جبال حواريك: عالية.

(٤) الجيم: ابن صعب التغلبي. المسامك: الأعمدة.

وَلَا التَّغْلِبِيَيْنِ الَّذِينَ رَمَحُوهُمْ  
 مَعَاقِلُ عُودَاتِ النِّسَاءِ الرُّوَاطِكِ <sup>(١)</sup>  
 وَمَا غَرُّ كَلْبًا مِنْ كُتَيْبٍ بِحَبِيَّةٍ  
 أَصَمُّ، عَلَى أَنْيَابِهِ السُّمُّ شَابِكِ <sup>(٢)</sup>  
 وَيَبِيتُ صَفَاةً فِي لَهَابٍ، لُعَابُهُ  
 سِمْامُ الْمَنَابِ، أَسْوَدُ الثُّونِ حَالِكِ  
 تَرَى مَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ، إِذَا مَثَى  
 صُدُوعاً نَفَتْ عَنْهَا مُتُونُ الدُّكَادِكِ <sup>(٣)</sup>  
 بَنِي الْخَطَفَى عُذُّوا شَبِيهَا لِدَارِمِ  
 وَعَمَّيْنِهِ، أَوْ عُذُّوا أَبَا مِثْلٍ مَالِكِ <sup>(٤)</sup>  
 وَالْأَ فَهَرُّوا دَارِمًا، إِنَّ دَارِمًا  
 أَنَاخَ بَعَادِي عَرِيضِ الْمُبَارِكِ <sup>(٥)</sup>  
 مِنَ الْعِزِّ، لَا يَسْطِيعُهُ أَنْ يَنَالَهُ  
 قِصَارُ الْهَوَادِي جَاذِيَاتُ السَّنَابِكِ <sup>(٦)</sup>  
 فَلَسْتُ إِلَيْهِمْ، يَا جَرِيرُ، فَلَا تَكُنْ  
 كَمُنْتَقِيلٍ أُعْطِيَ يَدًا لِلْمَهَالِكِ  
 تَقَاصَرَتْ عَنْ سَعْدٍ، فَمَا أَنْتَ مِنْهُمْ  
 وَلَا أَنْتَ مِنْ ذَاكَ الْعَدِيدِ الضُّبَارِكِ

(١) الرواتك: النساء الخائفات تركضن.

(٢) كلب شابك: طويل الأنياب.

(٣) الدكادك: جمع الدكدك: الأرض الغليظة.

(٤) الخطفي: والد جرير. مالك: جد الفرزدق.

(٥) هروا: نبخوا. عادي: نسبة إلى عاد.

(٦) الجاندي: القصير. السابك: السيوف.



كَلَيْبُ يُفَالُونِ الْحَمِيرَ وَدَارِمُ  
 عَلَى الْعَيْسِ نَانُوا الْخَزَرَ فَوْقَ الْمَوَارِكِ <sup>(١)</sup>  
 وَكُتُمُ مَعَ السَّاعِي الْفُضْلُ بَنِي اسْتِهَا  
 جَرِيرٌ، وَسَلَّاكِينَ شَرُّ الْمَسَالِكِ  
 ضَفَادُعُ غَرَّتْهَا صُرَاةٌ فَقَصَّرَتْ  
 مِنْ الْبَحْرِ عَنْ آذِيَةِ الْمَتَدَارِكِ <sup>(٢)</sup>

### كم من رئيس

في هجاء بني كليب بن يربوع رهط جرير:  
 البحر الطويل

بَنُو دَارِمٍ عِنْدَ السَّمَاءِ، وَأَنْتُمْ  
 قَذَى الْأَرْضِ أَبْعَدُ بَيْنِنَا بَيْنَ ذَلِكَ <sup>(٣)</sup>  
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ حَاجِبٌ وَابْنُ عَمِّهِ  
 أَبُو جَنْدَلٍ وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ <sup>(٤)</sup>  
 وَكَمْ مِنْ رَئِيسٍ قَطَرْتُهُ رِمَاخُهُمْ  
 بِمُخْتَلَفٍ بَيْنَ الرَّمَالِ الدُّكَادِكِ <sup>(٥)</sup>  
 وَتَرْفِدُهُمْ أَبْنَاءُ حَنْظَلَةَ الدُّرَى  
 حَصَى يَنْحَدِي قَبْضُهُ كُلُّ فَاتِكِ

(١) يُفَالُون: يقتنون. العيس: الإبل. الموارك: حيث يضع الراكب رجله.

(٢) صرارة: جدول. آذي: موج.

(٣) بنو دارم: قوم الفرزدق.

(٤) أبو جندل والزيد: علمان من بني دارم.

(٥) الدكادك: الأرض الغليظة.

وَلَوْلَاهُمْ يَابْنَ الْمِرَاغَةِ، كُنْتُمْ  
 لِقَابَيْنِ أَطْرَافَ الْقَنَا لِلْسَّنَابِكِ<sup>(١)</sup>  
 هُمْ أَنْقَذُوا يَوْمَ الْمُضْضِيبَاتِ سَبْيَكُمْ  
 وَأَبْنَاءَ زَهْطِ الْكَلْبِ قُرْعُ الْمَبَارِكِ  
 فَرَزْتُمْ حِذَارَ التَّغْلِبِيِّينَ، إِذْ سَمَوْا  
 بِأَزَعَنْ طَوْدٍ مُشْمَخِرٍ الْخَوَارِكِ<sup>(٢)</sup>  
 وَتَرَى الْمَذْكِي فِي الْقِيَادِ كَأَنَّهُ  
 مِنْ طَوْلِ مَا جَشِمَ الْغَوَارَ عَقِيرُ<sup>(٣)</sup>  
 هَرَيْتَ نِطَافَ عُيُونِهِنَّ فَأَذْبَرْتَ  
 فَكَاتَنْ مِنْ الصُّرَاةِ عَوْرُ  
 وَحَوَّلَنْ مِنْ خَلَجِ الْأَعْنَةِ وَانْطَوَتْ  
 مِنْهَا الْبُطُونُ فِي الْفُحُولِ جُفُورُ<sup>(٤)</sup>  
 قَطَعَ الْغُرَاةَ عِجَافَهُنَّ فَأَصْبَحَتْ  
 حُرْدٌ صَلَاحٌ قُرْعُ وَذُكُورُ<sup>(٥)</sup>  
 وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَلَاءَهُ فِي مَعْرِ  
 تَغْلِي شَنَاةِ صَدُورِهِمْ وَثُغُورُ  
 وَالْقَوْمُ زَارُهُمْ وَأَعْلَى صَوْتِهِمْ  
 تَحْتَ السِّيفِ غَمَاغِمٌ وَهَرِيرُ

- 
- (١) السنابك: حوافر الخيل. وابن المراغة: جرير.  
 (٢) الطود: الجبل. مشمخر الخوارك: شامخ كالسنام.  
 (٣) المذكي: الخيل الفتية. جشم: أصاب. العقير: الجريح.  
 (٤) خلع الأعنة: شد الأرسنة. الجفور: الامتناع عن الضراب.  
 (٥) الحرد: أن ترفض الإبل السير. الصلدم: جمع الصلدم: الشديد. القرع: النوق إذا ظهر حملها.

وَإِذَا الْفَلَاحُ غَلَّتْ فَلِأَن قُدُورَهُ  
خَوْفٌ لَهُنَّ بِمَا ضَمِنَ هَدِيرُ  
طَلَبِ الْأَزَارِقِ بِالْكَتَائِبِ إِذْ هَوَتْ  
بِشَبِيبٍ غَائِلَةِ النُّفُوسِ غَدُورُ  
يَرْجُو الْبَقِيَّةَ بَعْدَمَا حَدَقَتْ بِهِ  
فُرْطُ الْمَنِيَةِ يُحْصِبُ وَحُجُورُ<sup>(١)</sup>  
فَأَبَاحَ جَمْعَهُمْ حَيْدًا وَانْشَى  
وَلَهُ لَوَقْعُهُ آخَرِينَ زَيْرُ

وقال في هجاء القيسين:

البحر الوافر

أَلَمْ نَشْكُرْ لَنَا كَلْبٌ بَاتَا  
جَلَّوْنَا عَنْ وَجْهِهِمِ الْغُبَارَا  
كَشَفْنَا عَنْهُمْ نَزَوَاتِ قَيْسِ  
وَمِثْلُ جُمُوعِنَا مَنَعَ الذَّمَارَا<sup>(٢)</sup>  
وَكَانُوا مَعْشَرًا قَدْ جَاوَرُونَا  
بِمَنْزِلَةٍ فَاتَّكَرَمْنَا الْجَوَارَا  
فَلَمَّا أَنْ تَخَلَّى اللَّهُ مِنْهُمْ  
أَغَارُوا إِذْ رَأَوْا مِنَّا انْفِتَارَا<sup>(٣)</sup>  
فَعَاقَبْنَاهُمْ لِكَمَالِ عَشْرِ  
وَلَمْ نَجْعَلْ عِقَابَهُمْ ضِمَارَا

(١) يحصب: بطن من حمير. حجور: قوم من همدان.

(٢) الذمار: الدقاع.

(٣) انفطار: فتور وضعف.

وَأَطْفَانَا شِهَابُهُمْ جَمِيعاً  
 وَشَبُّ شِهَابٍ تَغْلِبُ فَاسْتَنَارَا  
 نَحْمَلْنَا فَلَمَّا انْمَحْشُونَا  
 أَصَابَ النَّارُ تَسْتَعِيرُ اسْتِعَارَا  
 وَأَقْلَتِ حَاتِمٌ بِقُلُولِ قَيْسٍ  
 إِلَى الْقَاطُولِ وَانْتَهَكَ الْفِرَارَا<sup>(١)</sup>  
 جَزَيْنَاهُمْ بِمَا صَبَحُوا شُعَيْثَا  
 وَأَصْحَابَا لَهُ وَرَدُوا قَرَارَا<sup>(٢)</sup>  
 وَخَيْرُ مَتَالِفِ الْأَقْوَامِ يَوْمَا  
 عَلَى الْعَزَاءِ عَزَمَا وَاضْطَبَارَا<sup>(٣)</sup>  
 فَمَهْمَا كَانَ مِنَ الْمَمِّ فَلَنَا  
 صَبَحْنَاهُمْ بِهِ كَاساً عُقَارَا<sup>(٤)</sup>  
 فَلَيْتَ حَدِيثَنَا يَأْتِي شُعَيْثَا  
 وَحَنْظَلَةَ بَنَ قَيْسٍ أَوْ مَرَارَا<sup>(٥)</sup>  
 بِمَا دَنَاهُمْ فِي كُلِّ وَجْهِ  
 وَأَبْدَلْنَاهُمْ بِالذَّارِ دَارَا  
 فَلَا رَاذَانَ تُدْعَى فِيهِ قَيْسُ  
 وَلَا الْقَاطُولُ وَاقْتَنَصُوا الْوَبَارَا<sup>(٦)</sup>

(١) حاتم : ابن النعمان الباهلي .

(٢) شعيث : رجل من تغلب .

(٣) العزاء : الضيق .

(٤) عُقار : خمرة معتقة .

(٥) حنظلة : أحد بني تغلب .

(٦) راذان والقاطول : موضعان .

صَبَرْنَا يَوْمَ لَأَقِينَا عُمِيرًا  
 فَاشْتَبَعْنَا مَعَ الرَّخْمِ النَّسَارَا  
 وَكَانَ ابْنُ الْحَبَابِ أَعْيَرُ عِزًّا  
 وَلَمْ يَكُ بِكَ عِزُّ تَغْلِبَ مُسْتَعَارَا  
 فَلَا بَرَحُوا الْعُيُونُ لَنَنْزِلُوهَا  
 وَلَا الرُّهَوَاتِ وَالتَّمَسُّوا الْمَغَارَا<sup>(١)</sup>  
 وَسِيرِي يَا هَوَازِنُ نَحْوِ أَرْضِي  
 بِهَا الْعَذْرَاءُ تَتَّبِعُ الْقُتَارَا<sup>(٢)</sup>  
 فَلَنَا حَيْثُ حُلُّ الْمَجْدُ يَوْمًا  
 حَلَلْنَا وَسِرْنَا حَيْثُ سَارَا

### تربُّعنا الجزيرة

البحر الوافر

الخمرة والفلاة:

أَعَاذِلْ مَا عَلَيْكَ بَأْسُ تَرَيْنِي  
 أَبَاكَرُ قَهْوَةٌ فِيهَا اخْمَرُ  
 تَضَمَّنَهَا نَفُوسُ الشُّرْبِ، حَتَّى  
 يَرْوَحُوا فِي جُفُونِهِمْ أَنْكَسَارُ  
 تَوَاعَدَهَا التَّجَارُ إِلَى أَنَاهَا  
 فَاطْلَعَهَا عَلَى الْعَرَبِ التَّجَارُ

(١) الرهوات: جمع رها: موضع بالعراق.

(٢) هوازن: قبيلة عربية. القنار: رائحة الطعام.

فَأَعْطَيْنَا الْغُلَاءَ بِهَا، وَكَانَتْ  
 تَأْبَى، أَوْ يَكُونُ لَهَا يَسَارُ  
 أَعَادِلَ تَوْشَكِينَ بِأَنْ تَرْبِيَنِي  
 صَرِيحاً، لَا أَزُورُ وَلَا أَزَارُ  
 إِذَا خَفَقْتُ عَلَيَّ فَالْبَسْتَنِي  
 بِلَامِعِ آلِهَاءِ الْبَيْدِ الْقِفَارِ<sup>(١)</sup>  
 لَعَمْرُ أَبِي لَيْثٍ قَوْمٌ أَضَاعُوا  
 لِنِعْمِ أَخِيهِ الْخِفَاطِ لَنَا جِدَارُ  
 حَمَانَا حِينَ أَعْوَزْنَا وَخَفْنَا  
 وَأَطْعَمَ، حِينَ يُتْبَعُ الْقُتَارُ<sup>(٢)</sup>  
 وَأَوْقَدَ نَارَ مَكْرُمَةٍ وَتَجَدَّ  
 وَلَمْ تَوْقَدْ مَعَ الْجُشْمِيِّ نَارُ  
 وَأَطْعَمَ أَشْهُرَ الشَّهْبَاءِ حَتَّى  
 تَصُوحَ فِي مَنَابِتِهِ الْحَسَارِ<sup>(٣)</sup>  
 فَلِإِذْ دَرْتُ بِكَفِّكَ، فَاخْتَلَيْتُهَا  
 وَلَا نَكَ دِرَّةً فِيهَا غِرَارُ<sup>(٤)</sup>

(١) البيد القفار: الصحاري .

(٢) قُتَار: رائحة الطعام .

(٣) الشهباء: عام الفحط . تصوح: ييس . الحسار: الأعشاب البرية .

(٤) غرار: قلة .

## لست ناسيه

في مدح يزيد بن معاوية  
البحر البسيط

بأنت مُعَاذٌ، ففي العَيْنَيْنِ تَشْهِيْدُ  
وَاسْتَحْقَبْتُ لُبَّهُ فَالْقَلْبُ مَغْمُودُ  
وقد تَكُونُ سُلَيْمَى غَيْرِ ذِي خُلْفٍ  
فَالْيَوْمَ أَخْلَفَ مَنْ سُعْدَى الْمَوَاعِيْدُ  
لَمْعاً وَإِمَاضَ بَرْقٍ، مَا يَصُوبُ لَنَا  
وَلَوْ بَدَا مِنْ مُعَاذِ النُّحْرِ وَالْجِيْدُ  
إِذَا تَرَيْنِي حَنَانِي الشُّبُّبُ مِنْ كِبَرٍ  
كَالنُّرِ أَرْجُفُ وَالْإِنْسَانُ مَهْدُودُ  
وقد يَكُونُ الصُّبَا مَنِي بَمَنْزِلَةٍ،  
يَوْمًا، وَتَقْتَادُنِي الْهِيفُ الرَّعَادِيْدُ<sup>(١)</sup>  
يَا قُلْ خَيْرُ الْغَوَانِي كَيْفَ رُغْنُ بِهِ  
فَشُرْبُهُ وَشَلٌّ، فِيهِنَّ تَصْرِيْدُ<sup>(٢)</sup>  
أَعْرَضْنَ مِنْ شَمَطٍ فِي الرُّأْسِ لَاحَ بِهِ  
فَهُنَّ مِنْهُ، إِذَا أَبْصَرْنَهُ، جِيْدُ<sup>(٣)</sup>

---

(١) الهيف: جمع الهيفاء: المرأة الضامرة. الرعاديْد: جمع رعديْد: الجبان، وقصد الفتيات.

(٢) الغواني: جمع الغانية: الحسناء. الوشل: الماء القليل. التصريد: الشرب دون ارتواء.

(٣) الشمط: اختلاط سواد الشعر ببياض.

قَدْ كُنْ يَفْهَدَنْ مَنِي مَضْحَكًا حَسَنًا  
 وَمَفْرَقًا خَسِرَتْ عَنْهُ الْعَنَاقِيدُ  
 فَهَنْ يَشْدُونَ مَنِي بَغْضَ مَغْرِفَةٍ  
 وَهَنْ بِالْوَدِّ لَا بُخْلٌ وَلَا جُودُ  
 قَدْ كَانَ عَهْدِي جَدِيدًا، فَاسْتَبَدَّ بِهِ  
 وَالْعَهْدُ مُتَّبِعٌ مَا فِيهِ مَنْشُودُ  
 يَقُلْنَ لَا أَنْتَ بَعْلٌ يُسْتَقَادُ لَهُ  
 وَلَا الشَّبَابُ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ  
 هَلْ لِلشَّبَابِ الَّذِي قَدْ فَاتَ مَرْدُودُ  
 أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ  
 لَنْ يَرْجِعَ الشَّيْبُ شَبَابًا، وَلَنْ يَجِدُوا  
 عِذْلَ الشَّبَابِ لَهُمْ، مَا أَوْرَقَ الْعُودُ  
 إِنَّ الشَّبَابَ لَخَمُودٌ بِشَائِنُهُ  
 وَالشَّيْبُ مُنْصَرِفٌ عَنْهُ وَمُضْدُودُ  
 إِنِّي وَجَدْتُ أَلْدَّ الْعَيْشِ تَجْمَعُهُ  
 خَوْدٌ خَيْرِنَجَةٌ مَمْكُورَةٌ رُودُ<sup>(١)</sup>  
 هَيْفَاءَ بِهَكْنَةٍ نَضَحَ الْعَبِيرُ بِهَا  
 بِيضَاءَ زَيْنٍ مِنْهَا النُّحْرُ وَالْجِيدُ<sup>(٢)</sup>  
 وَالشُّدْرُ وَالْدُرُّ وَالْيَاقُوتُ فَصْلُهُ  
 نَظْمُ الزَّمَرْدِ فَوْقَ الْجَمِيدِ مَعْقُودُ

(١) خود: حسناء. خيرِنَجَة: ناعمة. مَمْكُورَة: ممثلة الساقين. رود: بطيئة السير.

(٢) بهكنة: حسناء شابة.



دعهنْ عنك لمن أصبحنْ هُمَّتهُ  
 فلأما هُمَّهُنَّ الفتيةُ الفيدةُ  
 أما يزيدُ، فلإني لَستُ ناسيةُ  
 حتى يُغَيِّبَنِي في الرَّمْسِ مَلْحُودُ<sup>(١)</sup>  
 جزاك ربُّك عن مُستَفْرِدٍ، وَحِدٍ  
 نَفَاهُ عن أهلهِ جُرمٌ وتَشْرِيدُ  
 مُستَشْرِفٌ قد رماه النَّاسُ كُلُّهُم  
 كأنَّهُ، مِن سُمومِ الصَّيفِ سَقُودُ<sup>(٢)</sup>  
 جزاءُ يُوسُفَ إحساناً ومَغْفِرَةً  
 أو مِثْلَ ما جُزِيَ هَارُونَ وَدَاوُدُ  
 أو مِثْلَ ما نال نوحٌ في سَفِينَتِهِ  
 إذ استجابَ لنوحٍ، وهو مَنْجُودُ  
 أعطاهُ مِن لَذَّةِ الدُّنْيَا وأَسْكَنَهُ  
 في جَنَّةٍ نِعْمَةً فيها وتَحْلِيدُ  
 فما يزالُ جِداً نُعماكُ يُمِيطُرُنِي  
 وإن نَأَيْتُ وَسَيْبُ مَنْكَ مَرْفُودُ<sup>(٣)</sup>  
 هلْ تُبَلِّغُنِي يَزِيداً ذاتَ مَعْجَمَةٍ  
 كأنها صَخْرَةٌ ضَمَاءٌ صَيْخُودُ<sup>(٤)</sup>  
 مِنَ اللُّوَاتِي إِذَا لَأَنْتَ عَرِيكَتُهَا  
 كَانَ لَهَا بَعْدَهُ آلٌ وَتَجْلُودُ<sup>(٥)</sup>

(١) الرمس: القبر.

(٢) السوم: رياح الصيف الحارة.

(٣) الجدا والسبب: الكرم والعطاء.

(٤) صيخود: صلبة.

(٥) الآل: السراب. مجلود. شديد الصبر.

تَهْدِي سَوَاهِمَ يَطْوِيهَا الْعَنِيْقُ بِنَا  
فَالْعَيْسُ مُنْعَلَةٌ أَقْرَابُهَا سُودٌ<sup>(١)</sup>  
يَلْقَحُهُنَّ حُرُورٌ كُلُّ هَاجِرَةٍ  
فَكُلُّهَا نَقَبُ الْأَخْفَافِ، مَجْهُودٌ<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّمَا قَارِبٌ أَقْرَى خَلَائِلُهُ  
ذَاتَ السَّلَاسِلِ، حَتَّى آتَيْسَ الْعُودُ  
ثُمَّ تَرْبَعُ أُبْلِيَا، وَقَدْ حَمِيَتْ  
مِنْهَا الذُّكَادُكُ وَالْأَكْمُ الْقَرَادِيدُ<sup>(٣)</sup>  
فَظَلَّ مُرْتَبِيًّا وَالْأَخْذُ قَدْ حَمِيَتْ  
وَعَظُنْ أَنْ سَبِيلَ الْأَخْذِ مَثْمُودٌ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ اسْتَمَرَّ يُجَارِصُنْ لَا ضَرْعُ  
مُهْرٍ، وَلَا ثَلَبٌ أَفْنَاءُ تَغْوِيدُ<sup>(٥)</sup>  
طَاوِيِ الْمَعَالَاخَةِ التَّغْدَاءُ صَيْفَتُهُ  
كَأَنَّمَا هُوَ، فِي آثَارِهَا، سِيدُ<sup>(٦)</sup>  
ضَخْمُ الْمَلَاطِينِ مَوَارُ الضُّحَى مَزْجُ  
كَأَنَّ زُبْرَتَهُ، فِي الْأَلِ، عُنُقُودٌ<sup>(٧)</sup>

(١) عنيق: سير سريع.

(٢) نقب: مثقوب.

(٣) القراديد: الأماكن الصعبة. الأكْم: المرتفعات.

(٤) الأخذ: أمكنة حبس الماء. المثمود: بقية الماء.

(٥) ثلب: عود كبير.

(٦) طاوي المعال: ضامر. التغداء: الجري.

(٧) الملاطين: الكفين.

يَنْضَحْنَهُ بِصَلَابٍ مَا تُؤْثِسُهُ  
قَدْ كَانَ فِي نَخْرِهِ مِنْهُنَّ تَقْصِيدٌ<sup>(١)</sup>  
وَهُنَّ يَنْبُونُ عَنْ جَابِ الْأَدِيمِ، كَمَا  
تَنْبُو عَنْ الْبَقَرِيَّاتِ الْجَلَامِيدُ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا انْصَمَى حَيْقًا حَاذِرًا شِدَّتُهُ  
فَهُنَّ مِنْ خَوْفِهِ شَقَى عِبَادِيدُ<sup>(٣)</sup>  
يَنْصَبُ فِي بَطْنِ أَبِيٍّ وَيَبْحَثُهُ  
فِي كُلِّ مُنْبَطِحٍ مِنْهُ أَخَاوِيدُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا أَرَادَ سَوَى أَطْهَارِهَا، امْتَنَعَتْ  
مِنْهُ سَرَاعِيفُ أَمْثَالِ الْقَنَا قُودُ<sup>(٥)</sup>  
يَصِيفُ عَنْهُمْ، أَحْيَانًا، بِمَنْخَرِهِ  
فَبِالْأَبَانِ وَبِالْأَلْيَتَيْنِ تَكْدِيدُ<sup>(٦)</sup>  
يَنْضَحْنَ بِالْبَوْلِ أَوْلَادًا مُفَرَّقَةً  
لَمْ تَفْتَحِ الْقُفْلَ عَنْهُمْ الْمَقَالِيدُ<sup>(٧)</sup>  
بَنَاتُ شَهْرَيْنِ، لَمْ يَنْبُتْ لَهَا وَبَرٌ  
مِثْلَ الْبَرَابِيعِ خُمْرُهُنَّ أَوْ سَوْدُ<sup>(٨)</sup>

(١) ينضح : يضرب . تؤثس : تؤثر . التقصيد : أثار الحوافر وسيلان الدم .

(٢) الأديم : الجلد . الجلاميد : جمع الجلمود : الصخر الصلب .

(٣) عباديد : متفرقون .

(٤) أخاويد : جمع أخدود : خندق .

(٥) سراعيف : طوال . قود : جمع قوداء : طويلة العنق .

(٦) يصيف : يبتعد . اللبان : الصدر . التكديد : أثار الحوافر في الصدر .

(٧) المقاليد : المفاتيح . وأصله الأقاليد .

(٨) البرابيع : جمع يربوع .

مِثْلُ الدُّعَامِ بِصٍ فِي الْأَرْحَامِ غَائِرَةٌ  
 سُدَّ الْخِصَاصُ عَلَيْهَا، فَهُوَ مَسْدُودٌ<sup>(١)</sup>  
 تَمَوْتُ طَوْرًا، وَتَحْيَا فِي أَسْرِهَا  
 كَمَا تَقَلَّبُ فِي الرُّبْطِ الْمَرَاوِدُ<sup>(٢)</sup>  
 كَانَ تَغْشِيرُهُ فِيهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ  
 غَيْثِي فَصِيلٍ قُبَيْلَ الصُّبْحِ تَغْرِيدُ  
 مِثْلُ الذُّبَابِ إِذَا مَا أَوْجَسُوا قَنْصًا  
 كَانَتْ لَهُمْ سَكْنَةٌ مُضْغٍ وَمَبْلُودُ  
 بِكُلِّ زُرَّاءٍ مِرْنَانٍ أَعَدُّ لَهَا  
 مُدَاخِلٌ صَجِلٌ بِالْكَفِّ مَقْدُودٌ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى الشَّرَائِعِ مَا تَنْمِي زِمِيَّتُهُمْ  
 لَهُمْ سُوءًا، إِذَا شَاءُوا، وَتَقْدِيدُ<sup>(٤)</sup>

(١) الخصاص: الرحم.

(٢) المراويد: الخيل التي لا تهدأ.

(٣) الزوراء: القوس. مرنان: تحدث رنيناً. المداخل: الوتر المشدود. مقدود: مشدود.

(٤) الشرائع: جمع الشريعة: مورد الماء. تقديد اللحم: تحفيفه.



## ثبت المراجع والمصادر

- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار إحياء التراث العربي (مصورة عن طبعة دار الكتب).
- طبقات الشعراء، ابن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨٨/٢.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨٥/٢.
- معجم الأدباء، ياقوت، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٩١/١.
- الأعلام، الزركلي، در العلم للملايين، بيروت ط ١٩٨٩/٧.
- ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٩٨٦/١.
- ديوان النابغة الذبياني، دار صعب، بيروت.
- ديوان جرير، دار صادر، بيروت.
- ديوان الأعشى، مكتبة الآداب، القاهرة.
- التطور والتجديد في الشعر الأموي، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٦.
- تاريخ الأدب العربي/٢، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧.
- محاضرات في أدب العصر الأموي وحضارته، د. ثريا ملحس، دار الجامعة اللبنانية، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي/١، كارل بروكلمان، دار المعارف، ط ٤.
- حياة الحيوان الكبرى، الدميري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



## الفهرس

المقدمة	٣
---------	---

### الفصل الأول الأحوال العامة في العصر الأموي

الحال السياسية	٧
الحال الاجتماعية	١٣
الحجاز	١٣
البادية	١٥
الجزيرة وشمال الشام	١٥
العراق	١٦
الشام	١٨
الحال الثقافية	٢٠

### الفصل الثاني الأخطل ، نشأته وسيرته

الأخطل	٢٧
نشأته وتربيته	٢٧
اتصاله بالحكام	٣٠
ثقافته	٣٢
وفاته	٣٣



## الفصل الثالث أغراضه الشعرية

المديح	٣٧
الهجاء	٥٤
الفخر	٦٥
الثناء	٦٩
الغزل	٧١
خمرياته	٧٨
الوصف	٨٥
خصائمه العامة ومكانته	٨٨
الخاتمة	٩٣
مختارات	٩٥
ثبت المصادر والمراجع	١٤١
الفهرس	١٤٣